

روايات مصرية الحب

السلسلة الوحشية

وقصص أخرى

كوكب

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيلة فاروق

36

Looloo

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة
الطبعة الأولى 2004
توزيع: مؤسسة العربية الحديثة
CAIRO - EGYPT
2004



وكلما شاءت ..

(قصة قصيرة)

منذ طفولتي ، وأنا أعتبر نفسي ذكية ، وأكثر حرصًا
وبراعة من زميلاتي بكثير ، حتى إنهن كن يعتبرنني
قائدتهن وزعيمتهن ، في كل مضمار وكل مجال ..

وعندما نضجت أتوثني ، وأعلنت عن نفسها ، لم أسقط في
فخ الحب الخادع ، كما فعلت زميلاتي ؛ بل كنت دومًا واعية
حذرة ، أتعامل مع كل شاب بحزم وحسم ، ولا أصدق تلك

● مع بدء العد التنازلي ، نحو القرن الحادي
والعشرين ..

● مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..

● مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

● مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب
إلى المعرفة ..

● إلى الحضارة ..

● إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. تبيل فاروق

الكلمات الناعمة المعسولة ، أو أسمح لها بالتسلسل إلى قلبي
أو مشاعري ، أو تخدير أحاسيسي وعواطفى ..

وعلى عكسهن جميعًا ، لم أعش أية قصة حب أو
ارتباط ، بل حرصت دومًا على التعامل مع كل الشباب
بأسلوب واحد ، حازم حاسم ..

حتى (أحمد) ..

كان شابًا وسيما ، رصينا ، هادئا ، يكبرنا بعامين
دراسيين ، ويبدى اهتماما ملحوظا بى ، منذ أول رحلة
جامعية تشاركنا فيها معا ..

وأعترف أن شخصيته قد جذبت انتباهى واهتمامى بالفعل ،
حتى إننى قضيت ليلة أو ليلتين أفكر فيه ، وأتصوره زوجا
مثاليا لى ..

ولكننى لم أعلن نه اهتمامى هذا أبدا ..

لقد صرت ، على العكس ، أتجاهله وأتجنبه ، حتى
لا يتصور أننى غارقة فى حبه ، فبدأ فى التعامل معى
بتعال أو استهتار ، كما فعل صديق زميلتى (فوزية) ،
بعدما تأكد من حبه له ..

روايات مصرية الجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

٧

ولم أكن مستعدة أبدا ، للوقوع فى الخطأ ، الذى وقعت
هى فيه ..

لا ينبغي أبدا أن يطمئن أى شاب إلى حبه له ..

هذه هى القاعدة ، التى حرصت عليها دوما ..

ولقد بذل (أحمد) جهدا مضنيا ؛ ليتقرب إلى ، وحاول
ألف مرة أن ينفرد بى ، ليبتلى حبه وولعه ..

وكنت أبتهج لوجودنا معا ، وأستمتع فى أعماقى بقربه ،
ولكننى لم أمنحه قط الفرصة للإفصاح عما بداخله ..

طوال عامين كاملين ، لم ينجح فى الانفراد بى ولو مرة
واحدة ، فى حديقة الكلية ..

وخلال هذه الفترة ، أدركت أننى كنت على حق ، فى
حذرى الزائد هذا ..

زميلتى (سلوى) انفصلت عن حبيبها ..

و (إلهام) فوجئت بصديقها يبتذها ، ويرتبط بصديقة
عمرها (نوال) ..

و (سوسن) رفض والدها خطبتها لزميلها (وائل) ؛ لأنه
- من وجهة نظره - غير قادر على الإضطلاع بأعباء الزواج .

كل ارتباطات الجامعة تفشل ، أو على الأقل تنتهي على غير ما يرغب طرفاها .

لذا ، كان من الحكمة ألا أستسلم لحب (أحمد) ..

وقبل امتحانات عامه الأخير ، قرّر (أحمد) أن يواجهني ، على الرغم مني ، فاعترض طريقى ذات يوم ، وسألني في وضوح وحزم ، عما إذا كنت أوافق على الارتباط به ، والزواج منه ، بعد تخرجه من الكلية ..

وأعترف أن مبادرته قد أربكتني بحق ..

لقد وضعني أمام الأمر الواقع ، وأصبح عليّ اتخاذ قرار حازم وحاسم في هذا الشأن ..

ولأنني حذرة ، فقد طلبت منه مهلة للتفكير ..

ولست أدري لماذا أحزنه هذا؟!؟

هل كان يتوقع مني موافقة فورية ، بما تتضمنه من اعتراف بحبي له ، طوال العامين السابقين؟!؟

مستحيل !

ولقد وافق (أحمد) على منحى فرصة للتفكير ، وأخبرني

في وضوح أنه سيعتبر قرارى نهائياً ، ولن يضايقتنى مرة أخرى طيلة عمره ، لو جاء جوابى بالرفض ..

ولن أنسى أبداً ذلك الحزن المظلم من عينيه ، ومن نظرتة الأخيرة المفعمة بالعتاب الصامت ، وهو يفارقنى يومها ..

لحظتها خفق قلبي من أجله ..

ولكننى أخذت خفقاته هذه بمنتهى الحزم والصرامة ..

واتخذت قرارى ..

وفي اليوم التالي ، واجهت (أحمد) ، بنفس الحزم الذى واجهنى به ، وأبلغته قرارى مع تأكيد عدم استعدادى للتراجع عنه قط ..

إننى أوافق على الزواج منه ، بشرط واحد ..

أن تكون العصمة بيدي ..

ولقد انتفض جسده ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما سمع ما قلته ، وحدث فى وجهى بضع لحظات فى ارتياح مستنكر ، قبل أن يتمالك نفسه ، ويشد قامته ، معلناً رفضه التام لهذا الشرط المجحف ..

وبسرعة ، أعلنته برفضى الزواج منه ، إلا بهذا الشرط ..

ولثوان ، وقف كلانا صامتًا ، يتطلع إلى عيني الآخر مباشرة ..

كانت نظرتى تحمل له كل العناد والإصرار ..

ونظرته تحمل كل الحب والعتاب والمرارة ..

وكما كان رصينًا كريمًا فى حبه الطويل لى ، كان كذلك

فى انصرافه عنى ..

لقد تمنى لى التوفيق فى حياتى ، مع أى شخص يوافق

على شرطى هذا ..

وانصرف ..

تمنيت لحظتها لو أعدو خلفه ، وأتعلق بعنقه ، وأعتذر

عن شرطى ، وأعلن رغبتي فى الزواج منه ..

ولكن كان من المستحيل أن أفعل ..

هذا أمر لن ينساه قط ..

وسيدكره يومًا ، ليحطم أنفى ، كما فعل زوج ابنة خالتي معها ..

وأنا حذرة ..

حذرة جدًا ..

واقدر قررت أن أنسى (أحمد) ، وأخرجه من قلبي ..

لم يكن هذا سهلاً أو بسيطًا ، ولكننى بذلت كل

جهدى ، حتى لا أهرع إليه ، وغادرت بلدي كلها ،

بحجة السعى وراء إجازة طويلة ، حتى انتهت

امتحاناته ، وأصبح من غير المحتمل أن ألتقى به ،

ولو مصادفة ..

ولكن العجيب أن هذا قد ترك فى نفسى فراغًا ، لم

أستطع ملأه أبدًا ..

ربما لأنه أول حب فى حياتى ..

ربما ..

المهم أن السنوات قد مرت ، دون أن ألتقى بـ (أحمد) ،

وإن علمت أنه قد حصل على عقد عمل جيد ،

فى واحدة من دول النفط ، وسافر إليها منذ فترة

قصيرة ..

وتخرجت من الجامعة ، دون أن أسمح لنفسي بالوقوع

فى تلك التجربة مرة أخرى أبدًا ..

عدد من زميلاتي خطبن لزملائهن ..

وتزوّجن ..

بل وأنجن ..

أما أنا ، فقد ظللت كما أنا ..

جميلة ..

مرغوبة ..

وحذرة ..

ولكنني بدأت أشعر بضياح عجيب ، مع مرور الوقت ..

كل زميلاتي وصديقاتي أصبحت لهن بيوت مستقرة ،

فيما عداي ..

وكلهن أصبحن يخشين من نظرات أزواجهن إلى ..

وابتعدن ..

أو تباعدن ..

وكان الحل الوحيد ، للخروج من هذا الموقف السخيف ،

هو أن ألحق بهن ..

وأتزوّج ..

ولكن بنفسي الشرط ، الذي أضاع مني (أحمد) ..

لا يمكنني التنازل عن هذا الشرط أبداً ..

فماذا لو فشل الزواج ، وأردت أن أتحرر منه؟!

هل ستصبح حياتي تحت رحمة وإرادة من أتزوّجه ،

لمجرد أنه وحده صاحب الحق في الطلاق؟!

مستحيل ! وألف مستحيل؟!

لن أتخلى عن حذري وحرّيتي أبداً ..

وفي مقر عملي الجديد ، التقيت بـ (وائل) ..

شاب وسيم ، أنيق ، قوى البنية ، جرىء النظرات ، ظلّ

يتابعني ببصره لأسبوع كامل ، قبل أن يطلب مني الزواج

مباشرة ..

ولقد أخبرته بشرطي ..

وقبل ..

لدهشتي العارمة ، قبل شرطي ، ووافق عليه ، بل

وتحمّس له ، وجاء لخطبتي في الأسبوع التالي ، ليتمّ

زواجنا بعد شهر واحد ..

معظم الناس رأوا أنه زواج سريع لكثير من اللازم، إلا أنني كنت مطمئنة تمامًا، مادمت قد وضعت في عقد الزواج تلك العبارة الرائعة ..

« ولها الحق في تطليق نفسها، وقتما شاعت .. »

لم أكن ساذجة، كمعظم الناس، الذين يتصورون أن وجود العصمة في يد الزوجة يمنع زوجها من تطليقها، فأنا أعرف جيدًا أن حق الرجل في تطليق زوجته لا يسقط أبدًا، ولكن يصبح من حقها هي أيضًا، بموجب العبارة السابقة، أن تطلق نفسها منه، وقتما شاعت ..

ولقد بدأت حياتي مع (وائل) بثقة، صنعها إيماني بقدرتي على الخلاص من كل هذا، وقتما أشاء ..

ومن حسن حظي أن فعلت هذا ..

لقد كان (وائل) شخصًا لا يطاق، والعيش معه أشبه بالعيش في قلب الجحيم ..

إنه شخص تافه، سافل، مستهتر، لا يقيم له شاعري وأحاسيسي أدنى اهتمام، أو يلتفت إليها ولو لحظة واحدة ..

والأسوأ أنه بخيل إلى أقصى حد ..

لا ينفق قرشًا واحدًا، إلا على أناقته وعطوره ورباطات عنقه، تاركًا لي كل مصروفات البيت الأساسية ..

ولقد احتملت هذا الوضع الشاذ لعدة أشهر، قبل أن انفجر فيه، وأطالبه بلعب دور الرجل، الذي من الطبيعي أن يلعبه ..

وهنا ظهرت أسوأ خصاله ..

لقد ضربني ..

ضربني ضربًا مبرحًا، بقسوة ووحشية رهيبتين، حتى حطم أنفي، وأصاب عيني اليمنى بورم مخيف ..

وهنا لم أحتمل ..

وطأقته ..

نعم .. استخدمت حقي في تطليقه وقتما أشاء ..

وتصورت أن المشكلة قد انتهت، عند هذا الحد، وأنني قد استعدت حريتي وأمنى، بسبب ذكائي وحذري، و ...

ولكن فجأة ، وصلنى إخطار من محاميه ، يبلغنى فيه بأن (وائل) قد أعادنى إلى عصمته رسمياً ..

وكدت أصاب بالجنون ، وأنا أهرع إلى محامىّ ثائرة ، معترضة على ما حدث ، باعتبار أننى صاحبة العصمة ..

وكانت صدمتى رهيبية ، عندما واجهنى المحامى بحقيقة مذهلة ..

فوجود العصمة فى يدى ، لا يمنع (وائل) من إعادتى إلى عصمته ، إذا ماتم طلاقنا ، باعتبار أن هذا حقه الشرعى ، خلال فترة العدة ..

والقانون يمنحه وحده هذا الحق ، دون حتى الرجوع إلى ، مادمت قد طلقته طلاقاً عادياً ، وليست بائنة ..

وبقدر الغضب الذى أصابنى ، هدانى عقلى إلى أن الحل ما زال بيدي ..

سأطلقه مرة أخرى ..

وطلقة بائنة ، حتى لا يمكنه إعادتى إلى عصمته دون إرادتى ..

وهنا ، فاجأتى المحامى بما لم يمكننى احتمالاه قط ..

فالعبرة التى شعرت معها بالاطمئنان والأمان ، فى عقد الزواج (وقتما شاعت) ، لم تكن تمنحنى الحق فى تطليقه سوى مرة واحدة ، فإذا ما أعادنى إلى عصمته ، لا يحق لى تطليق نفسى منه مرة ثانية قط ..

ولكى أحصل على هذا الحق ، كان من الضرورى - قانوناً - أن تضاف كلمة أخرى إلى عقد زواجنا ..

كلمة (وكلما شاعت) ..

وهذا يعنى أننى قد عدت زوجة لـ (وائل) ، دون أدنى حق فى تطليق نفسى منه مرة أخرى ..

وهذا ما أنا عليه الآن بالفعل ..

زوجة مع إيقاف التنفيذ ..

زوجة معطّقة ، ينشغل عنها زوجها بغزواته ونزواته ، فى حين تقضى هى كل وقتها فى ساحات القضاء ، للحصول على حكم بطلاقها منه ..

وكل هذا بسبب كلمة واحدة ، لم يدفعني حذري لإضافتها ،
في عقد الزواج ..

كلمة واحدة ، كنت سأصبح بعدها زوجة حرة ، تستطيع
تطليق زوجها وقتما شاعت .. وكلما شاعت .

روايات مصرية الحديث
كوكب
٢٥٥٠

مذكرات طبيب في صعيد مصر الجواني

(الجزء التاسع)



مقدمة

هذه الخواطر هي سيرة ذاتية ..

وعمل أدبي ..

جزء من هذا ، وشيء من ذلك ..

إنها ذكريات لفترة من فترات حياتي ، ربما كان لها الفضل ،
بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فيما أصبحت عليه الآن ..

فقد بدأت تلك الفترة طبيياً عادياً ، من مئات الأطباء ،
الذين حصلوا على شهادتهم الجامعية ، وأنهوا فترة
التدريب الإلجباري (الامتياز) ، ثم انتقلوا لقضاء فترة
التكليف الإلجبارية ..

وانتهت وأنا أضع قدمي على أول سلمة في مشوار
طويل ، كان ولا يزال مصدر متعنى الوحيد ..

الأدب .. والقلم ..

والأوراق ..

ولقد تمنيت كثيراً أن أكتب هذه الذكريات والمذكرات ..

وترددت أكثر في كتابتها ..

ربما لأنني خشيت ألا يتقبل القارئ فكرة أن يضيع الكاتب
(أي كاتب) بعض الأوراق ، في الحديث عن نفسه ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢١

أو لأنه ليس من السهل أن يكتب المرء عن نفسه ..

وحياته ..

وذكرياته ..

ولكن شيئاً ما ، لست أدري كنهه بالضبط ، جعلني أحسم
ترددى هذا ..

شيء ما ، جعلني أعجز عن مقاومة رغبتى في كتابة
هذه المذكرات ..

ربما لأنها أحداث مرت عليها ثمان عشرة سنة أو أكثر ،
وخشيت أن تذوب في بحر الذاكرة ، فتفقدني وأفقدتها ..

أو ربما لأن المرء يحتاج أحياناً إلى التحدث عن ذكرياته ..
ربما .

المهم أن هذه الأوراق بين يديكم الآن ..

اعتبروها مجرد عمل أدبي ..

وهذا سيكفييني ..

تماماً ..

و. نبيل فاروق

ومنذ اللحظة الأولى أيضاً، تملكنتى رغبة عارمة فى الجلوس فى تلك الشرفة، وتناول كوب من الشاي (البحراوى) فيها، ولكننى سرعان ما استبعدت الفكرة، باعتبار أنه من الحماقّة أن يحلم المرء بما يعجز عن تحقيقه ..

ثم انتهت الإجراءات الورقية (أخيراً)، وانتقلت إلى مرحلة مركز التدريب، التى نسيت فيها كل شىء ..

نسيت القصر ..

والشرفة ..

والشاي ..

وحتى اسمى ..

ومن حسن حظنا أن قرار الإفراج عنا، من مركز تدريب (قفت)، قد صدر فى الوقت المناسب، بحيث لم يصب سوى ستة منا فحسب بحالة التخلف العقلى، واثان بجوع مزمن، وواحد لم يتم التوصل إلى تشخيص دقيق لحالته بعد ..

ولأن ربنا (سبحانه وتعالى) سَلَمَ، وكنت أحد الناجين من محرقة مركز التدريب، فقد تم نقلى للعمل فى إحدى الوحدات الصحية الريفية - احم .. أقصد الجبلية .. كما نداد لبرامج محو المهارات البشرية ..

٩ - قصر الدندراوى ..

منذ أيامى الأولى فى مدينة (قنا)، وفى أثناء مرحلة استلام العمل، وإنهاء الأوراق الحكومية، وما يستتبعه هذا من انهيارات، وتقطيع شعر، وخلافه، جذب ذلك القصر اهتمامى وانتهى بشدة ..

قصر الدندراوى ..

لست أدري متى ولا كيف وقع بصرى عليه للمرة الأولى، ولكن ربما عندما بلغ إعجابى بالنظام الإدارى منتهاه، فقررت إلقاء نفسى فى النيل العظيم، لأصبح بهذا أول عريس نيل فى التاريخ ..

ولكننى رأيت هناك، عبر النيل، على شاطئ (دندرة) ..

و (دندرة) هذه هى أقرب مركز إلى مدينة (قنا)، إذ يفصلها عنها نهر النيل فحسب، ويصلها بها كوبرى بسيط، ينفك إليها فى خمس دقائق فحسب سيراً على الأقدام ..

وعند نهاية ذلك الكوبرى، تطل عليك شرفة القصر الواسعة، بمقاعد الكبيرة، وتكعيبية العنب، التى تتلاعب بها نسيمات الهواء فى مشهد يجعل قلبك يتراقص وبخفق فى استمتاع ونشوة ..

وفى (أبو دياب شرق) ، بدأت أسترجع ذاكرتى تدريجياً ،
وتذكرت أننى كائن بشرى ، وطبيب ، ولى اسم وعائلة .. إلخ ..
وهذا يؤكد أنه لا بد من صدمة ، للقضاء على صدمة أخرى ..
ولكن ما علينا ..

المهم أننى بدأت فى وضع برنامج خاص لنفسى ، كنوع من
مقاومة الظروف المحيطة .. والمحبطة أيضاً (مرة بنقطتين
بعد الحاء ، ومرة بنقطة واحدة للعلم) ..

وكجزء من هذا البرنامج ، قررت السفر إلى مدينة
(قنا) مساء كل خميس ، والعودة إلى الوحدة الصحية فى
(أبو دياب شرق) مساء الجمعة ..

وكان من الطبيعى أن أقضى بعض الوقت ، فى أثناء
رحلة (قنا) ، فى التطلع عبر نهر النيل إلى شرفة
قصر الدندراوى ، والحلم بالجلوس فيها ، وشرب الشاي
أيضاً ..

واستمر الحلم لعدة شهور ، قبل أن ألتقى بزيملى وصديق
عمرى ، الدكتور (محمد بكر) ، الذى كان يعمل أيامها فى
وحدة جبلية أخرى ، فى المحافظة نفسها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢٥

وفى مدينة (قنا) ، التقينا - (بكر) وأنا - ووقفت أنا
عند النيل ، مقلداً الراحل (عبد الحليم حافظ) ، فى تنهيداته
الملتهبة ، وأنا أقول :

- آه .. كم أتمنى الجلوس فى شرفة ذلك القصر .

وهنا فوجئت بزيملى (محمد بكر) يقول ، ببساطته
المعهودة :

- فليكن .. هيا بنا .

صرخت أخبره أنه مجنون ، وأن هذا قصر خاص ، ومن
المستحيل أن ندخله دون إذن ، و ... ، و ... ، و ...

وضحك (محمد بكر) من أعماق أعماق قلبه ، بل أظن أننى قد
سمعت صدى لضحكاته ، قبل أن يؤكد لى أن قصر (الدندراوى)
مفتوح لنا ، ولكل خلق الله ؛ لأنه - وبكل بساطة - قصر
ضيافة بالدرجة الأولى ..

وكالمسحور ، سرت خلف (محمد بكر) ، الذى اتضح
أنه خبيث ، يعرف الكثير ولا يتحدث عنه (تماماً مثل أيام
الدراسة) ؛ إذ وجدت الكل يعرفه فى قصر (الدندراوى) ،
منذ عبورنا بوابته الخارجية ، وسيرنا فى حديقته الغناء ،

تحت تكعيبات العنب الوارفة ، وحتى وصلنا إلى القصر
نفسه ، ودخلناه بكل بساطة ، دون أن يعترضنا أحد بحرف
واحد ..

وكنت أنا مبهوراً بالطبع ، وفاغراً فاهي ، كما تقول
الكتب القديمة ، في حين كان زميلي (محمد بكر) يتصرف
ويتحرك ويتعامل ، وكأنه في قصر أبيه ..

وداخل القصر ، جذبت انتباهي بشدة تلك الأرقام ،
المتناثرة في كل مكان ، على الجدران والسقف ..

١٢٦٠٧ .. ١٣١٤ .. ٨٥٥٥ .. ٥١٩١٦ .. إلخ ...

أرقام عجيبة ، لا أحد يدري معناها أو مغزاها ، أو أماذا
نحتها (الندرواي) باشا ، صاحب القصر القديم ، على هذا
النحو غير المفهوم ..

وفي الشرفة ، التي طالما حلمت بالجلوس فيها ، انشغل
ذهني عن مشهد النيل الرائع ، وعن الهواء العليل ، وحتى
عن كبوب الشاي ، الذي قدمه لي عم (محمد) ، حارس
القصر ، دون حتى أن أطالبه ، بتلك الأرقام ، التي تزين
الشرفة أيضاً ، في كل مكان ، وكل زاوية ..

أما (محمد بكر) ، فلم يشغل هذا ذهنه لحظة واحدة ،
وهو يجلس في استرخاء ، مستمتعاً بالهواء والنسيم ،
ومرتشفاً كبوب الشاي في استمتاع ، وهو يمد ساقيه
أمامه ، على سور الشرفة ..



وبشيء من الخيظ ، سأنته :

.. ألا تشغل هذه الأرقام اهتمامك أو انتباهك ؟!

سأنتهي في هدوء شديد :

.. أية أرقام ؟!

كذبت أصرخ مستنكراً ، وأنا أجيبه :

- هذه الأرقام ، المتناثرة في كل مكان .

فتح نصف عينيه في صعوبة ، على نحو يوحي بأنه قد بذل جهدًا خارقًا ، خاصة وأنه أحد الأعضاء المؤسسين لجمعية الكسل ، وألقى نظرة لامبالية على الأرقام ، قبل أن يعود إلى استرخائه ، قائلاً في لامبالاة :

- وما لنا بها !؟

صرخت هذه المرة :

- من المؤكد أنها لم توضع هنا عشوائياً .. هناك هدف ما لوجودها حتماً .

هزّ كتفيه ، بنفس اللامبالاة المستفزة ، وهو يقول :

- ربما .

قالها ، وعاد يرتشف الشاي في هدوء واسترخاء ، وأنا أنظر إليه في غيظ ليس بعده غيظ ، وأتساءل في أعماقي ، هل لو ألقىته في النيل الآن ، سيعتبرون هذا نوعاً من القتل العمد ، مع سبق الإصرار والترصد ، أم أنه مجرد دفاع شرعي عن النفس ..

وكمحاولة أخيرة ، أشرت إلى مجموعة من الأرقام ، تزاومت عند أحد أركان الجدار ، وأنا أسأله :

- قل لي : ألا يدفعك هذا إلى التفكير في شيء ما !؟

انعقد حاجباه في اهتمام ، واعتدل في مجلسه ، وهو يقول بجدية :

- بالتأكيد .

خفق قلبي في قوة ، وكدت أقفز من الفرحة ، بعد أن تحركت مشاعره أخيراً ، وسألته في لهفة :

- وفيم تفكر الآن !؟

أجابني بنفس الجدية والاهتمام :

- في أن الأمر يحتاج إلى كوب شاي آخر .

قالها ، والتفت ينادي عم (محمد) ، لإحضار كوب شاي آخر ، في حين طلبت أنا منديلاً ، لمسح دموعي ، التي انهمرت في غزارة ، في يأس وقهر ..

وبينما استرخى (محمد بكر) في وضع شبه نائم ، على نسמת النيل ، رحلت أنا أنقل الأرقام في حماسة ، في ورقة أحضرها عم (محمد) ..

وعندما عدت إلى الوحدة الجبلية ، رحبت أرقام الأرقام بعضها إلى جوار البعض ، وأحاول إيجاد أية علاقة تربط بينها ، أو حتى تربطها بآيات القرآن الكريم ، أو بتاريخ الفرائعة ، أو حتى بأغاثي (أحمد عدوية) ..

وأخيراً ، تأكدت من حقيقة واضحة ، جاءت في تراثنا المصري الصميم ..

« الفاضل يعمل قاضي » ..

إنه الفراغ ، الذي جعلني أبذل كل هذا الجهد ، في محاولة لتحليل أرقام ، موجودة منذ أكثر من قرن من الزمان ، دون أن تشغل اهتمام ، أو حتى انتباه أحد ..

ثم جاء صديقي الدكتور (محمد حجازي) لزيارتي ..

ولأن اهتماماته تقارب اهتماماتي ، في هذا المضمار ، فقد أخبرته بأمر أرقام قصر (الدندراوى) ، وجلسنا معاً نضرب أحماساً في أسداس ، ونرصد الأرقام ، ونرتبها ، ونعود لترصتها ، ونرتبها ألف مرة على الأقل ..

وفي كل مرة ، كنا نناقش الاحتمالات والارتباطات ، قبل أن نقرر معاً أن الأمر يحتاج إلى زيارة أخرى لقصر (الدندراوى) ..

وبالطبع صحبتنا صديقنا المشترك ، الدكتور (محمد بكر) ، الذي ظل على مبدئه ، يرتشف الشاي ، ويستمتع بالنسيم ، ويسخر من أصحابه المجانين ، الذين يأتون إلى مكان رائع ساحر كهذا ، وينشغلون بأرقام ، لن تصل بهم إلى شيء ..

وأعترف بأن صديقنا (محمد بكر) كان قوى الشخصية بالفعل ؛ فبعد حيص وبيص ، وحسابات ومناقشات ، انتهى بنا الأمر - (محمد حجازي) وأنا - إلى مد سيقاننا على سور الشرفة ، وارتشاف الشاي ، ومراقبة انعكاس الشمس على سطح النيل ، ولتذهب كل أرقام الدنيا إلى الجحيم ..

ولكن هيهات ..

فور عودتنا إلى الوحدة الصحية ، عاودتنا حالة التخلف العقلي والرقمي ، وعدنا نرصد الأرقام ، وندرسها ، و ... ، و ... وبلا بلى بلو بأ بأ بأ ..

وسافر (محمد حجازي) ، بعد انتهاء إجازته القصيرة ..

وأنتهى (محمد بكر) عمله فى المحافظة ، ليتسلم وظيفته الجامعية ..

وبقيت أنا وحدى ..

وقصر (الندراوى) ..

وآلف ألف سؤال حائر ..

أرقام ، وأرقام ، وأرقام ، قضيت معها أياماً وأسابيع ، وشهوراً ، فى زمن كان الكمبيوتر فيه مجرد خيال علمى جامح ..

حاولت ، وحاولت ، وحاولت ، ووضعت عشرات الاحتمالات والافتراضات ، والحلول ، و

وأخيراً ، انتهى بى الحال إلى مقعد فى شرفة الوحدة الصحية ، وساقان ممدودتان على سور الشرفة ، وكوب شاي أرتشف منه فى ببطء واسترخاء ، وأنا أغمغم :

- آه .. بركاتك يا (محمد بكر) ..

ولأن كل المحاولات العلمية والمنطقية لم تصل بى إلى حل ، ذهبت فى عطلة نهاية الأسبوع إلى (قنا) ، وابتعت

كشكولاً بسيطاً ، وقلمًا من أقلام الحبر ، وزجاجة حبر أسود ، وبدأت أكتب قصة قصر (الندراوى) ..

ودون أن أدري ، وجدت نفسى أغوص فى أعماق قصة خيالية ، حول ذلك القصر ، الذى أدار عقلى ، وحرقت دمى وأعصابى ، لعدة أشهر طويلة ..

قصة حملت اسم (سر القصر) ..

ولم أدر لحظتها ، بل ولم يخطر ببالى لحظة واحدة يومها ، أن تلك القصة سترى النور يوماً ، فى سلسلة (كوكتيل ٢٠٠٠) نفسها ، بنفس الاسم ، بعد عدة سنوات ..

ولكن المهم أننى قررت ألا أذهب مرة أخرى إلى قصر (الندراوى) ، الذى لم أستمتع مرة واحدة بشرب الشاي فى شرفته الواسعة الجميلة ، المطلّة على نيل (مصر) الساحر ..

ربما كمحاولة للحفاظ على ما تبقى من عقلى وأعصابى ..

وانتهت فترة التكليف فى (قنا) ..

وانتقلت إلى ريف الغربية ..

وتركت القصر خلفي ، بكل أرقامه ، وأسرارهِ ، وعجائبهِ ،
و

و حرق الدم الكامن فيه ..

وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، مازال القصر يقفز
إلى ذهني ، كل حين وآخر ، مع أرقامه ، وشرفته المظلة
على النيل ..

ومازلت أتمنى أحيانا العودة إليه ، والجلوس في شرفته
والاستمتاع بارتشاف كوب الشاي الساخن فيها ..

لولا مشكلة واحدة ..

ففي كل مرة أستعيد فيها ذكريات قصر (الندرواي) ،
تقفز إلى ذهني صورة واحدة ، تسيطر على كياني كله ،
وتهيمن على أفكاري كلها ..

صورة (محمد بكر) ؟

البقية في الكتاب القادم بإذن الله

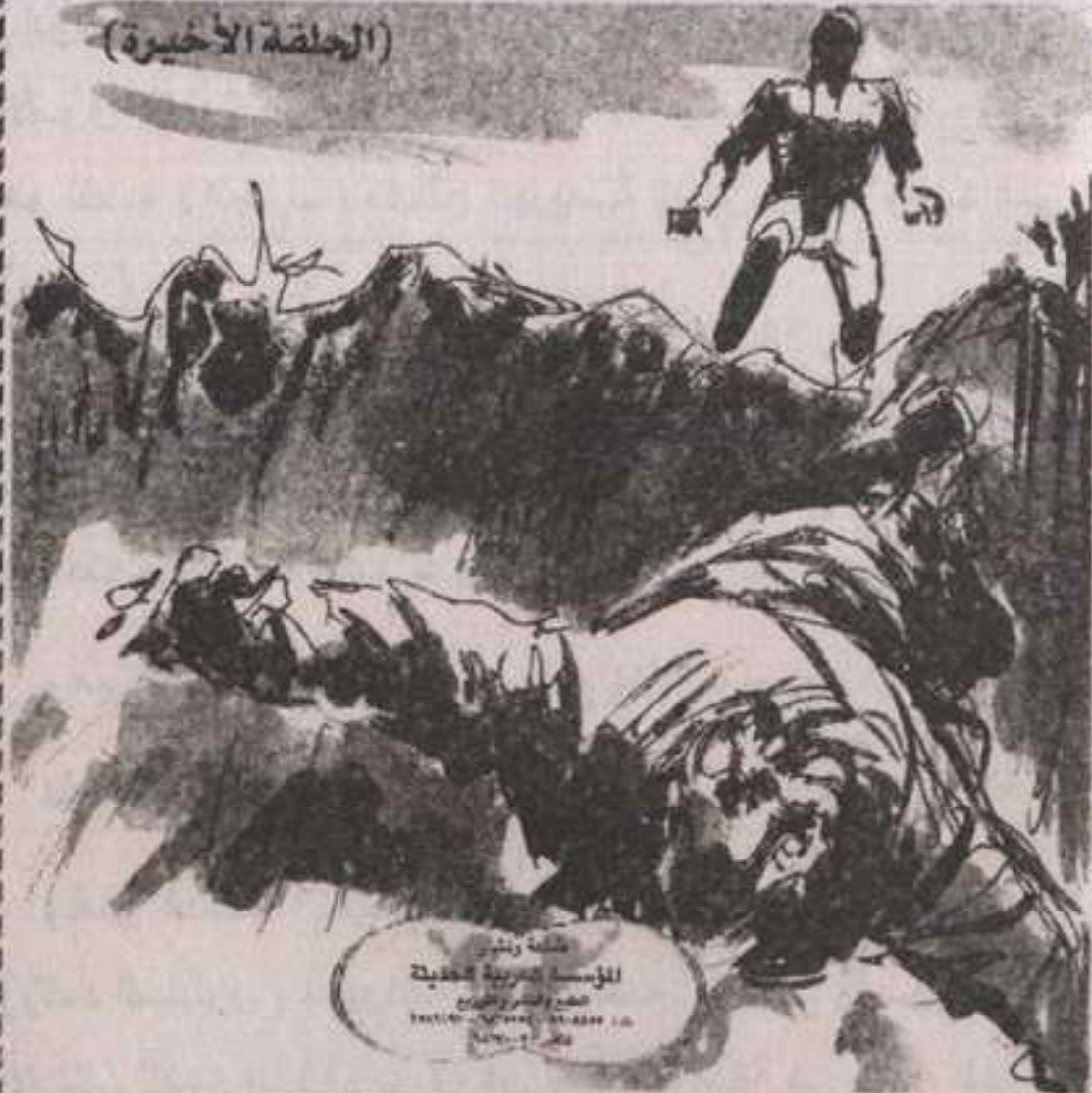
روايات مصرية الحقب

كوتيل
٢٠٠٠

المقرب

مهمة رسمية

(الحلقة الأخيرة)



مكتبة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
الطبع والنشر والتوزيع
1991-2000
1991-2000

مهمة رسمية

ملخص ما سبق نشره :

في سابقة نادرة طلب اللواء (حلمي) من (نديم) أن يعاونه ، في قضية أموال قذرة ، تخص رجل الأعمال الشهير (رشاد السلباوى) ، ولكن ما إن بدأ (نديم) المهمة ، حتى أطلق (إدوارد) محامى (رشاد) ، والزعيم الفعلى لمنظمة غسيل الأموال القذرة ، كل رجاله خلفه ؛ لأنه يعلم أن (نديم فوزى) هو نفسه (العقرب) مكافح الجريمة السرى رقم واحد فى (مصر) ..

ومع انتصار (نديم) ، فى الجولات الأولى ، لجأ (إدوارد) إلى قاتل إيطالى محترف ، تم إحضاره خصيصًا ؛ لاغتيال (نديم) ، وإزاحته من الحياة تمامًا ..

وأدى القاتل المحترف مهمته ، مع اختلاف بسيط ..

لقد أصاب (غادة) ، زميلة (نديم) ، بدلاً من هذا الأخير ..

وقفز غضب (نديم) إلى ذروته ، وهو يقتحم مبنى (رشاد السلباوى) ، ويواجه رجاله ونائبه ، وعلى رأسهم القاتل الإيطالى المحترف (ماريو) ، فى أعنف مواجهة فى حياته كلها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٣٧

وداخل المبنى ، الذى أغلقت كل مداخله ومخارجه ، واجه (نديم) جيش رجل (إدوارد) كله .. وكنت مواجهة رهية .. للغية .. مواجهة انتهت فى مكتب (رشاد السلباوى) ، والمحامى الداھية (إدوارد) ..

وعلى الرغم من سيطرة (نديم) على الموقف فى البداية ، فقد باغته القاتل الإيطالى المحترف (ماريو) ، و وأفقده الوعى ..

وهكذا أصبح (نديم) فى قبضة أعدائه .. أعدى أعدائه ..

وفى الوقت الذى كانت (غادة) تواجه فيه الموت ، فى حجرة عمليات الطوارئ بالمستشفى ، بعد أن توقفت قلبها عن النبض ، كان القاتل (ماريو) ، مع (إبراهيم) مساعد (إدوارد) ، يستعدان لإلقاء (نديم) الفاقد الوعى ، من حافة جبل (المقطم) بكل الحزم .. وكل الوحشية .

رمقه اللواء (حلمى) ينظرة جانبية ، وهو يقول :

- ما الحل فى رأيك إذن !؟

هتف فى حدة :

- آه لو أننا نستطيع ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، فابتسم اللواء (حلمى) ، مكملاً :

- تجاوز الإجراءات القانونية قليلاً .

ثم مال نحوه ، مضيفاً فى خبث :

- مثلما يفعل (العقرب) .

انتفض (مجدى) فى عنف ، هاتفاً :

- كلاً .

ثم التقى حاجباه فى شدة ، مضيفاً فى صرامة :

- القانون هو القانون .

زفر اللواء (حلمى) فى ضجر ، وهو يعود إلى

الاعتدال ، قائلاً :

- بالتأكيد .

١١- الفريسة ..

« كل شىء قانونى تماماً .. »

نطق العقيد (مجدى) العبارة فى سخط واضح ، وهو يجلس إلى جوار اللواء (حلمى) ، داخل سيارة الشرطة ، التى تنقلهما إلى المستشفى ، الذى ترقد فيه (عادة) ، فاتعقد حاجبا اللواء ، وهو يقول :

- هل يحنقك هذا !؟

لوح (مجدى) بيده ، قائلاً :

- بالتأكيد .. إننا نعلم أن (نديم) وراء كل ما حدث هناك ، فى شركة ذلك الوغد (رشاد السلباوى) ، وأن شحوب رجل الأعمال واضطرابه ، كانا أكبر دليل على هذا ، على الرغم من هدوء وثبات محاميه الذئب (إدوارد) ، ولكننا عاجزون عن اتخاذ أى إجراء رسمى ، دون دليل قانونى ، وإذن من النيابة ، وتقارير تحريات ، وألف إجراء ورقى آخر ..

ازداد النقاء حاجبى (مجدى) ، وهو يسند ظهره بقوة إلى مقعده ، ويطبق شفتيه ، وعقله يعيد دراسة الموقف كله ..

كل صراعاته مع (نديم) عبرت ذهنه فى لحظات ..

كل خلافاتهما ..

واختلافاتهما ..

ثم توقفت عند النتائج ..

لقد نجح (نديم) عدة مرات ، فى مواجهة مجرمين ، اتخذوا من القانون وثغراته درعاً ؛ لإخفاء جرائمهم والتحايل على القواعد ..

نجح فى كل مرة ، واجه فيها عتاة المجرمين ، وعمالقة اللصوص ، بأسلوب يناسب أمثالهم .

أسلوب المواجهة المباشرة ..

ولكن لا ..

القانون هو القانون ..

ربما يفلح تجاوزه مع بعض المجرمين ، ولكن الالتزام به يحمى الأبرياء حتماً ..

هذا ما آمن به ، وما سيؤمن به يوماً ..

القانون هو القانون ..

مهما كانت الأسباب ..

والجريمة أيضاً هى الجريمة ..

المجرم عدو للمجتمع والشعب ..

عدو للأخلاق والقيم ..

والقضاء على المجرم والجريمة ، هو هدف كل إنسان سوى شريف ..

وهذا ما يفعله (نديم فوزى) ..

العقرب ..

ولكن بأسلوبه الخاص ..

الخاص جداً ..

اعتدل فى مجلسه فجأة ، عند بلوغه هذه النقطة ، وقال فى حزم صارم :

- لا يمكن أن نترك الأمور تسير على هذا النحو .

التفت إليه اللواء (حلمى) فى دهشة ، قائلاً :

- ماذا تعنى !؟

أجابته فى حماسة شديدة أدهشته :

- لا يمكن أن نترك (نديم) فى قبضتهم يا سيادة اللواء .

واكتسى صوته بحزم لا مثيل له ، وهو يضيف :

- إنه زميل .. زميل سابق .

كانت دهشة اللواء (حلمى) عارمة ، إلا أنه تساعل فى

اهتمام :

- وما الذى تقترحه !؟

أجابته (مجدى) ، وهو يحلّ حزام مقعده بالفعل :

- واصل أنت طريقك إلى المستشفى ، للاطمئنان على (غادة)

يا سيادة اللواء ، وسأعود أنا إلى شركة (السلباوى) .

قالها ، وهتف بالسائق ، يطالبه بالتوقف ، فسأله اللواء

(حلمى) فى حيرة ، قبل أن يغادر السيارة :

- ولماذا تعود إلى الشركة !؟

أجابته (مجدى) ، وهو يشير إلى إحدى دوريات الشرطة
الراكبة :

- لا يمكن أن أترك (نديم) وحده .

وارتفع حاجبا اللواء (حلمى) إلى أقصى مداهما ، فى
دهشة بالغة ..

فما حدث الآن أمامه ، كان تحوّلًا خطيرًا فى شخصية
العقيد (مجدى) ..

خطير للغاية ..

انطلقت ضحكة الإيطالى (ماريو) عالية وحشية ، وهو
يحمل (نديم) ، ليلقيه من حافة جبل المقطم ، وهتف وهو
يشد عضلاته كلها :

- هيا .. اذهب إلى الجحيم أيها المصرى .. الحق
بزميلتك هناك .

نطقها بالإيطالية ، وبلهجة عامية مبتذلة ، وهو يدفع
جسد (نديم) إلى الأمام ، و ...

ولكن فجأة ، تشبَّنت أصابع (نديم) بذراعه ، في قوة هائلة ..

كان قد استعاد وعيه ، في نفس اللحظة التي أطلق فيها (ماريو) هتافه ، ووثبت إلى ذهنه صورة واحدة ..

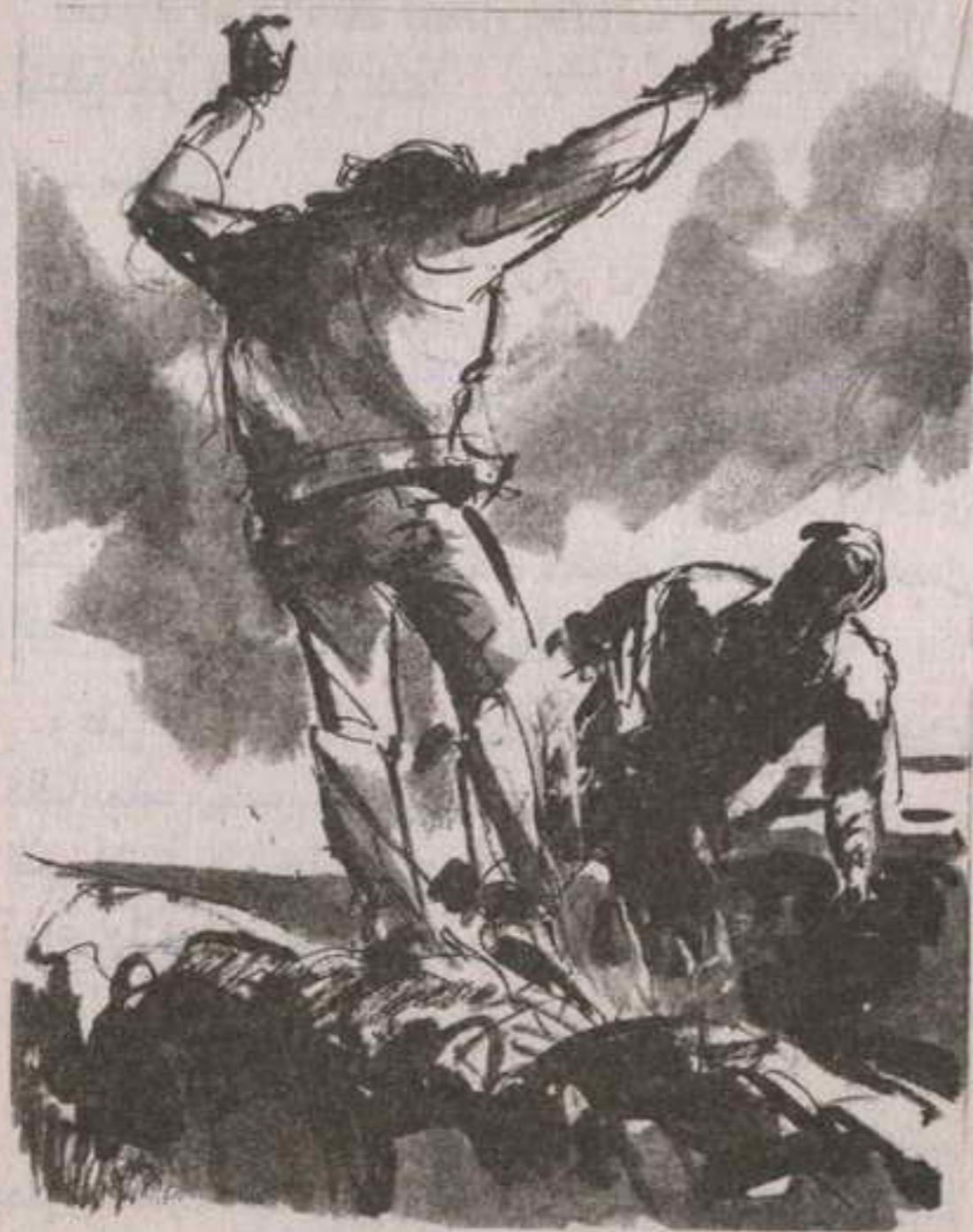
صورة (غادة) ، وهي تصاب بالرصاص في ظهرها ، وتسقط بين ذراعيه ، والدماء تتفجَّر من موضع إصابتها في عنف ..

وتفجر الغضب ، في كل ذرة من كيانه ..

وعندما همَّ (ماريو) بإلقائه ، من حافة المقطم ، تشبَّنت (نديم) بذراعه في قوة ، وهو يستنفر كل قوته وإرادته ، ليدفع نفسه إلى الخلف ،، هاتفاً في غضب :

- لن تكمل جريمتك بسهولة أيها الحقير .

تلك المبادرة المباغتة غير المتوقَّعة ، دفعت جسد (نديم) إلى الخلف ، ليهبط على قدميه ، وراء (ماريو) ، الذي اختلَّ توازنه مع المفاجأة ، فضرب الهواء بذراعيه ، محاولاً التشبُّت بأي شيء ، وهو يطلق سباباً إيطالياً بذيئاً ..



ماريو ، الذي اختلَّ توازنه مع المفاجأة ، فضرب الهواء بذراعيه ، محاولاً التشبُّت بأي شيء ..

أما (إبراهيم) ، فقد انتفض بعنف مع المفاجأة ، قبل أن يندفع نحو (نديم) ، هاتفاً :

- مستحيل !

وثب منقضاً على (نديم) ، الذى لم يستعد كامل وعيه وتوازنه بعد ، إلا أن غريزته ، التى تذكر ما تدرب عليه وتفوق فيه ، خلال فترة دراسته ، فى أكاديمية الشرطة ، جعلته يميل جانباً ، متفادياً انقضاضة (إبراهيم) ، الذى اختل توازنه بدوره ، مع اختفاء خصمه المفاجئ ، فواصل اندفاعه لمتراً آخر ، ليرتطم بالإيطالى ارتطاماً خفيفة ..

وعلى الرغم من ضعف اصطدامه به ، إلا أن هذا كان كافياً تماماً ، لكسر ما تبقى من توازن القاتل المحترف ، الذى أطلق صرخة رعب هائلة ، وتضاعفت قوة ضرب ذراعيه للهواء ، قبل أن يهوى جسده من حلق ..

من حافة جبل المقطم ..

وبمنتهى العنف ، ارتطم جسده بالصخور فى أسفل ، وتهشم بصورة مخيفة ، جعلت (إبراهيم) يطلق شهقة ارتياح ورعب ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتخيل نفسه فى الموقف ذاته ..

وعندما استدار ، محاولاً الفرار إلى سيارة الشركة ، ارتطم بصره بوجه (نديم) ، الذى حمل نظرة صارمة قاسية ، وهو يقول :

- إلى أين !؟

حاول (إبراهيم) أن ينتزع مسدسه من حزامه ، إلا أن قبضة (نديم) كانت أسرع منه ، وهى تهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، تراجع معها متراً واحداً إلى الخلف ، و ... واختل توازنه فى عنف ..

لقد بلغ الحافة بتراجعها ، ومال جسده إلى الخلف ، وصار السقوط حتمياً ..

ولكن فجأة ، قبضت أصابع (نديم) القوية على سترته ، ثم جذبته إلى الداخل ، لتهوى قبضته الأخرى على فكه بلكمة ثانية ، سقط الرجل بعدها على ركبتيه ، وهو يهتف ، والدماء تتناثر من بين شفتيه :

- الرحمة .. أرجوك .. سأخبرك بكل ما تريد معرفته .. بكل شىء .. كل شىء ..

وعندما رفع عينيه ، المغرورقتين بالدموع إلى وجه (نديم) ، انتفض جسده فى عنف وارتياح ..

فوجه هذا الأخير كان يحمل المقت والقسوة والغضب ..
كل الغضب ..

* * *

احتقن وجه (إدوارد) فى سخط ، وهو يعيد هاتفه
المحمول إلى جيبه ، قائلاً :

- لماذا لا يجيب (إبراهيم)؟! هاتفه يرن طويلاً دون
إجابة وهذا يقلقتى كثيراً .

قال (رشاد) ، وهو يستدير إلى لوحة كبيرة خلف مكتبه :
- أما أنا ، فهذا يفرغنى إلى حد الهلع .

انعقد حاجبا المحامى ، عندما رآه يزيح اللوحة جانباً ،
ليكشف خزانة سرية ، تختفى خلفها :

- ماذا تفعل بالضبط؟!!

أجابه (رشاد) ، وهو يضغط أزرار رتاج الخزانة
الإليكترونى ، بأصابع مرتجفة :

- فى موقفنا هذا ، يصبح من الخطورة أن تحتفظ بهذه الملفات .

قالها ، وفتح الخزانة ، ليخطف من داخلها ثلاث
أسطوانات مدمجة ، فهتف به المحامى فى حدة :

- ماذا تعنى؟!!

أجابه (رشاد) ، بعصبية مفرطة :

- أعنى أنه من المحتم تدمير كل المعلومات والوثائق
الإليكترونية ، قبل أن تعثر عليها الشرطة ، وينتهى أمرى
تماماً .

انقضّ عليه (إدوارد) لينتزع الأسطوانات من يده ،
صائحاً فى غضب :

- هل جننت؟! هذه الأسطوانات تحوى عناوين كل الجهات ،
التي نتعامل معها ، وأرقام الحسابات السرية ، فى بنوك
(سويسرا) و (مونت كارلو) ، و (أمريكا) و (اليونان) ..

صاح (رشاد) ، وهو يقاومه فى حدة :

- وما قيمة المال ، لو لم نجد الفرصة لإنفاقه؟!!

صرخ (إدوارد) :

- لقد جننت حتماً .

وقرن صرخته هذه بكلمة غاضبة ، حطم بها أنف
(رشاد) ، قبل أن ينتزع تلك الأسطوانات الثلاث من يده
عنوة ، مستطرداً فى صرامة :

- الأصدقاء في (لوس أنجلوس) لن يعجبهم ما أصابك أبداً .

مسح (رشاد) الدماء ، التي تفجرت من أنفه ، وهو يقول في عصبية بالغة :

- الأوغاد في (لوس أنجلوس) لا يعنيه أمرى ، أو حتى أمرى .. كل ما يهمهم هو أموالهم القذرة ، وبراعتنا في غسلها هنا .

دسّ (إدوارد) الأسطوانات في جيبه ، وهو يقول في صرامة :

- من الواضح أنك لم تعد تصلح للعمل .. إننا نحتاج إلى شخص قوى ..

قال (رشاد) في حدة :

- وماذا ستفعل؟! هل ستقتلنى!؟

دسّ (إدوارد) يده في جيبه ، وأخرج مسدساً مزوداً بكاتم للصوت ، وهو يقول بلهجة مخيفة :

- اقتراح لا بأس به .

اتسعت عينا (رشاد) عن آخرهما ، وهو يتراجع ملوْحاً بيده ، وهاتفاً في رعب :

- لا .. لا .. لقد أخطأت .. أعترف أنني أخطأت .. سأفعل كل ما تأمرنى به .. أقسم لك .. حتى الأسطوانات لن أحتفظ بها بعد اليوم .. إنها لك .. أرجوك .

جذب (إدوارد) إبرة مسدسه ، وهو يقول في صرامة :

- لم تعد هناك فائدة يا رجل .. إننى أنفذ أوامر الأصدقاء في (لوس أنجلوس) .. إنها ليست مسألة شخصية .

سقط (رشاد) على ركبتيه ، هاتفاً :

- لا .. أرجوك .. الرحمة .

بدأ صوت (إدوارد) قاسياً كلوح من الصلب ، وهو يقول :

- وداعاً يا (رشاد) .

قبل أن يضغط الزناد ، ارتفع رنين هاتفه المحمول فجأة ، فالتقطه من جيبه بيسراه ، في حركة حادة ، دون أن يبعد فوهة مسدسه عن (رشاد) ، الذى انهار تماماً من

فرط الرعب ، وقال فى صرامة ، بعد أن ألقى نظرة على الرقم ، على شاشة الهاتف :

- أين كنت يا (إبراهيم)؟! إننى ..

قاطعته صوت (نديم) ، وهو يقول فى صرامة :

- أنا لست مساعدك الوغد أيها الحقير .. أنا الكابوس ، الذى لن يفارقك ليلة واحدة ، لو أنه تبقى لك مزيد من العمر .

انتفض جسد (إدوارد) فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف فى عصبية :

- أنت؟! مستحيل !

أجابه (نديم) بنفس الصرامة :

- المستحيل هو أن تفلت بأفعالك القذرة أيها الحقير .. لقد أتيت لأجبرك على دفع فاتورة قذاراتك ، التى زكمت أنوف الشرفاء .

ظلت عينا (إدوارد) متسعيتين لحظة من فرط الدهشة ، التى لم تلبث أن تحوَّلت إلى غضب هادر ، وهو يقول :

- اسمع يا هذا .. سواء أكنت عقرباً أو حتى ثعباناً ، فلن أسمح لك بأن تمس شعرة واحدة منى .. سأمر الرجال بقتلك فوراً ، ودون أدنى رحمة ، لو حاولت مجرد محاولة ، أن تقترب من هنا ، أو ...

قاطعته (نديم) بضحكة ساخرة ، وهو يقول :

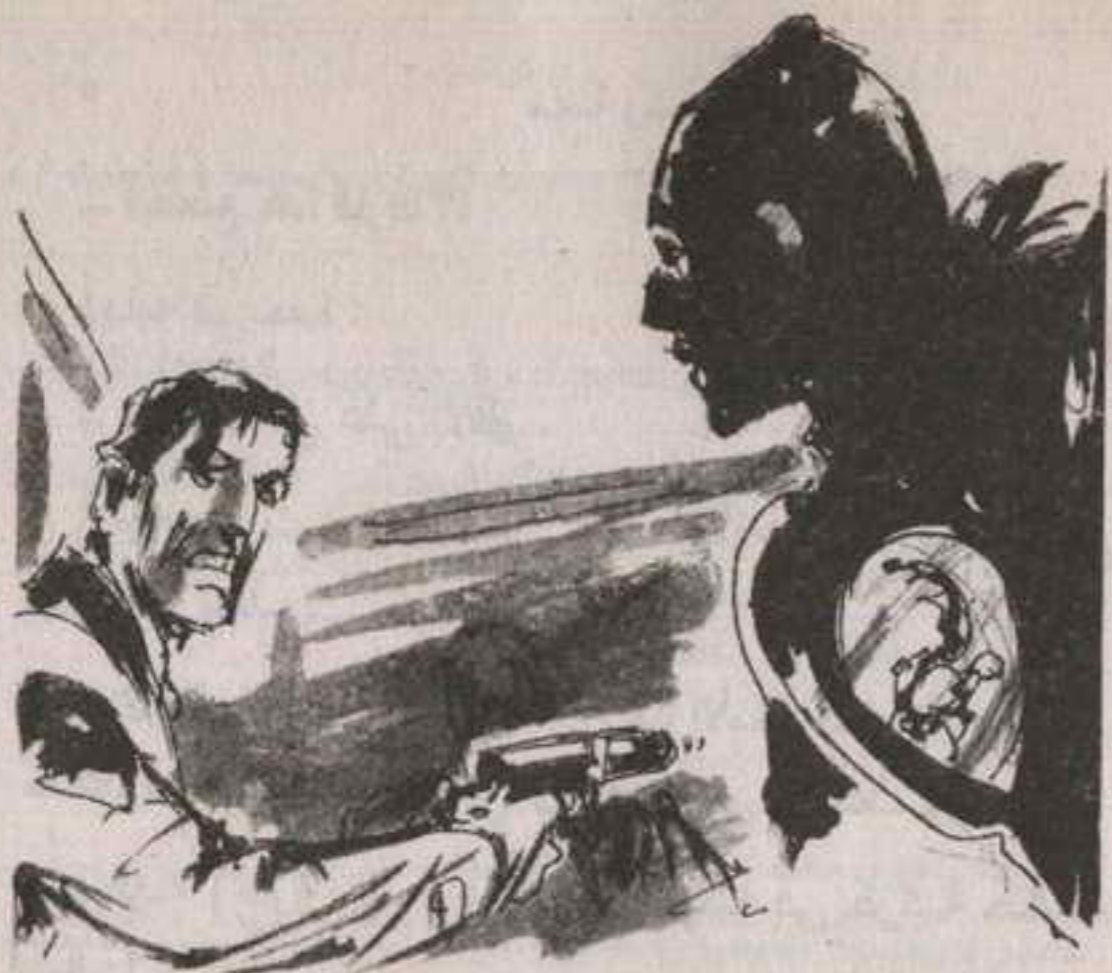
- اقترب من هنا؟! يالك من غر ساذج ، على الرغم من حقارتك .. إننى هنا بالفعل أيها الوغد .

ومع آخر حروف عبارته الساخرة ، تحطم زجاج حجرة المكتب فى عنف ، ليثب عبره جسد قوى ، يتشح بالسواد ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ..

لقد كان (نديم) .. (نديم فوزى) ..

ولكن فى الزى الذى يفضله ، فى مثل هذه الظروف ..

زى العقرب .



تطلع (نديم) إلى فوهة المسدس بلا مبالاة، قبل أن يقول:

- لو أن قوتك تكمن في سلاحك فحسب .

انعقد حاجبا (إدوارد) في غضب، وهو يلوح بمسدسه،

هاتفًا:

- انتزع هذا القناع السخيف عن وجهك .. أريد أن أتحدث

إلى (نديم فوزي)، وليس إلى (العقرب).

انتزع (نديم) قناعه في هدوء، وهو يتسائل، في

لهجة حملت رنة ساخرة:

١٢ - المواجهة الأخيرة ..

لنصف دقيقة كاملة، راح المحامي (إدوارد) يحدق في وجه (العقرب) وقناعه الأسود في دهشة أقرب إلى الذهول، تمتزج بذعر عصبى، قبل أن يتمالك جأشه، ويقول في توتر:

- وسيلة عنيفة للدخول ياسيد (نديم)، ثم إن هذا القناع لم يعد بإمكانه أن يخدع أحدًا، في الوقت الحالي.

هزَّ (نديم) كتفيه، وهو يعقد ساعديه أمام صدره، قائلاً في صرامة:

- إنه يشعرني بالارتياح على الأقل .

أدار (إدوارد) فوهة مسدسه المزود بكاتم للصوت نحوه، وهو يقول في حدة:

- أتعنى لم يشعرني مسدسي هذا بالارتياح!؟

- أيصنع هذا فارقاً؟! -

أجابه في حدة :

- بالنسبة لى على الأقل .

ارتفع صوت (رشاد) من خلفه فجأة ، وهو يهتف فى انفعال مرتجف :

- الأسطوانات ياسيد (نديم) .. خذ الأسطوانات من جيبه .. سأعترف بكل شيء ، على أن تعتبرونى شاهداً ، و ...

قاطعته (إدوارد) ، وهو يستدير إليه فى حركة حادة ، صائحاً :

- اخرس أيها الغبى .

ومع صيحته ، ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الرصاصة بدوى مكتوم ..

ومع انطلاقها ، وقبل حتى أن تنطلق شهقة الموت ، من

بين شفتى (رشاد السلباوى) ، وثب (العقرب) ..

وثب لينقض على (إدوارد) فى عنف ، هاتفاً :

- خطأ أيها الوغد .

وبركلة قوية ، أطاح بالمسدس من يد (إدوارد) ، مستطرذاً :

- لا تبعد عينيك عن خصمك ، فى ظروف كهذه أبداً .

كانت قبضته تنطلق نحو فك المحامى الداهية ، عندما ارتفع ساعد هذا الأخير بحركة سريعة ماهرة ، ليصد الضربة ، قائلاً فى غضب :

- مشكلتك أيها المقتنع ..

ودار حول نفسه برشاقة مذهشة ، ليركل (العقرب) فى صدره ركلة عنيفة ، ألقته هذا الأخير إلى الخلف ، والمحامى يتابع :

- أنك تتصور نفسك الأكثر براعة .

ثم وثب فى مرونة مذهلة ، ليهبط على مسافة نصف المتر من (نديم) ، مستطرذاً :

- والأكثر قوة .

كانت مفاجأة حقيقية لبطلنا ، ولكنها لم تمنعه من صد لكمة كالفنيلة ، صوبها المحامى إلى أنفه ، قبل أن يتراجع بقفزة خلفية ، قائلاً :

- من الواضح أنك تجيد الرياضات القتالية ، على الرغم من حقارتك .

ابتسم (إدوارد) فى سخريه ، وقال وهو يتخذ وضعا قتاليا حازما :

- منذ شبابى ، وأنا أتفوق فى هذه الرياضات أيها المهرج المقنع ، وعندما قضيت بضع سنوات فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حرصت على مواصلة التدريب ، على يد عمالقة فى هذا المضمار .

ثم وثب بغتة ، ليركل (العقرب) مرة أخرى فى صدره ، هاتفا :

- ما رأيك فى النتائج !؟

كانت الضربة من القوة ، حتى إنها دفعت (نديم) دفعة عنيفة ، جعلته يرتطم بالجدار فى شدة ، فى نفس اللحظة التى انقض فيها المحامى عليه ، متابعا فى سخريه قاسية :

- أم نترك هذا للطب الشرعى !؟

كانت قبضته تندفع نحو فك (العقرب) فى قوة ، إلا أن هذا الأخير خفض رأسه فى سرعة ، لترتطم قبضة المحامى

بالجدار خلفه ، قبل أن يعتدل ، ويهوى بقبضته على فك المحامى ، صائحا :

- ما رأيك لو نتركه لمحاضر الشرطة .

تراجع المحامى مع عنف اللكمة ، وانطلقت من حلقه صرخة غضب وألم ، وهو يهتف :

- أيها المقنع الـ ...

قبل أن يتم عبارته ، وقع بصره على مسدسه الملقى أرضا ، فتألفت عيناه ، وهو يهتف :

- أيها المقنع الـ

- أنت أيضا أخطأت أيها العقرب .

لمح (نديم) المسدس فى اللحظة نفسها ، وأدرك أنه بالفعل فى متناول يد المحامى ، فاندفع نحوه بكل قوته ..

ولكن (إدوارد) كان الأكثر قربا ..

والأكثر خفة ..

لقد استغل كل مهاراته ، لينحنى كقطعة من المطاط ، ويلتقط مسدسه ، ثم يعتدل فى سرعة مذهشة ، وهو يصوب فوهته نحو (العقرب) ، هاتفا :

- آه .. خسرت أيها المقنع .

وجذب إبرة المسدس ، مستطرذاً في صرامة قاسية :

- ها هي ذى أسطورة جديدة تنمحي من الوجود .

وعلى الرغم من أن مسدسه مزوّد بكاتم للصوت ، فقد
رددت طرقات وممرات الشركة كلها دوى الرصاصة ..

الرصاصة التي أصابت هدفها ..

بمنتهى الدقة ..

★ ★ ★

« رصاصة واحدة .. »

نطق كبير الجراحين العبارة ، وهو يواجه اللواء
(حلمي) ، قبل أن يتابع في انفعال :

- لقد أصابتها في ظهرها ، ونفذت من صدرها ، في
موضع شديد الحساسية ، حتى إن قلبها قد توقّف في أثناء
العملية ، ونحن نسعى لإيقاف النزيف الداخلي .

ثم التقط نفساً عميقاً ، ليستطرد في ارتياح :

- ولكننا نجحنا في إعادة النبض إليه ، بتوفيق من الله

(عزّ وجلّ) ..

تنهّد اللواء (حلمي) ، مغفماً :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما عم (أحمد) ، فقد أجهش ببيكاء حار ، وهو يقول :

- حمدًا لله .. لا بد من إبلاغ السيد (نديم) .. لا بد من
إبلاغه فوراً ؛ حتى يطمئن قلبه .

أجابه اللواء (حلمي) في حزم :

- نحن لانعرف أين (نديم) الآن ، ولكنني سأطلب من
رجالنا إبلاغ العقيد (مجدى) ، فهو يبحث عنه ، وأظنه
سيلتقى به .

شهق عم (أحمد) ، هاتفاً :

- يا إلهي ! العقيد (مجدى) !؟

ابتسم اللواء (حلمي) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

- اطمئن .. (مجدى) لم يعد كما كان .

ظلت عينا عم (أحمد) تحملان نظرة شك قوية ، في حين
التفت اللواء (حلمي) إلى الجراح ، يسأله في اهتمام :

- هل استعادت (غادة) وعيها !؟

هز الجراح رأسه نفيًا وهو يجيب :

- ليس بعد .. ستحتاج إلى وقت طويل قبل أن تعود إلى
وعياها ، فأصابتها ليست بالبسيطة .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- وأظنها لن تعود إلى العمل ، قبل ستة أشهر على
الأقل .

هتف عم (أحمد) :

- المهم أنها قد بقيت على قيد الحياة .

عاد اللواء (حلمي) يبتسم ، مغمغماً :

- بالتأكيد .

ولكن ابتسامته لم تلبث أن تلاشت ، وهو يتساعل في
أعماقه : ترى هل عثر (مجدى) على (نديم) ، قبل أن
تتعقد الأمور !؟

وهل سيصل إليه في الوقت المناسب !؟

هل !؟

* * *

لم يكن هناك شيء ، يمكن أن يحول بين (نديم)
ورصاصة المحامى الداهية (إدوارد) ..

أى شيء ..

فالرجل يجيد التصويب ، والمسافة التى تفصله عن
(العقرب) محدودة ، و ...

ولكن فجأة ، اقتحم العقيد (مجدى) المكان ..

وبمنتهى العنف ..

ومع صرخة الاحتجاج ، التى أطلقتها السكرتيرة (نسرين) ،
استدار (إدوارد) بحركة غريزية نحو القادم الجديد ..

واستدارت معه فوهة مسدسه ..

وكمحترف ، لم يضع (مجدى) ثانية واحدة ..

وأطلق النار ..

ودوت رصاصة مسدسه فى الشركة كلها ، وامتزجت
بصرخة الرعب ، التى أطلقتها السكرتيرة ، وبصوت ارتطام

الرصاص بمسدس (إدوارد) ، لتطيح به بعيداً ..

وانطلقت شهقة ألم مذعورة ، من حلق المحامى ..

وقبل حتى أن تكتمل ، كان (العقرب) يثب نحوه ،
ويهوى على فكه وأنفه بلكمتين سريعتين ، هاتفاً :

- انحسرت اللعبة أيها الحقير .

تراجع جسد المحامى فى عنف ، وارتطم مع تراجع
بجثة (رشاد) ، فاختلف توازنه ، وسقط أرضاً ، ليتلقى فكه
ركلة أكثر عنفاً ، من قدم (نديم) ، الذى أضاف :

- لصالح (العقرب) .

انعقد حاجبا (مجدى) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى
حين أطلقت السكرتيرة صرخة رعب أخرى ، وهى تحدق
فى جثة (رشاد) ، وبركة الدم التى تحيط بها ، فقال لها
(نديم) فى صرامة :

- أبلغى الشرطة .. أسرعى .

أدارت عينيها المتسعيتين إلى (مجدى) ، الذى لوّح
بمسدسه ، قائلاً :

- افعلنى ما أمرك به .

تراجعت السكرتيرة فى سرعة ، وهى تغلق باب حجرة

المكتب خلفها ، وأسرعت تنفذ ما أمرها به فى حين
انحنى (نديم) ، يلتقط الأسطوانات المدمجة الثلاث ، من
جيب (إدوارد) ، ثم ناول (مجدى) ، إياها قائلاً :

- بهذه ، ستجد لديك قضية متكاملة ، من قضايا غسيل
الأموال القذرة ، بالإضافة إلى جريمة قتل ، ضحيتها (رشاد
السلباوى) ، ومجرمها المحامى (إدوارد) .

أعاد (مجدى) مسدسه إلى غمده ، والتقط الأسطوانات
فى حرص ، فتابع (نديم) ، وهو يشد قامته أمامه ، فى
زى (العقرب) :

- وربما كانت هناك قضية ثالثة أيضاً .

أدرك (مجدى) ما يعنيه على انفور . فأزماً برأسه
إيجاباً ، وغمغم :

- القانون هو القانون .

التقط (نديم) نفساً عميقاً ، وقال :

- بالتأكيد .. أعلم أن هذا هو مبدؤك دوماً .

ثم أشار إلى خناعه ، الملقى على مقربة من (مجدى) ،
مضيفاً :

- وها هي ذى الحقيقة أمامك ، بعد أن اتكشف عنها القناع ،
والشك داخلك تحول إلى يقين .

عض (مجدى) شفتيه ، وهو يكرر :

- القانون هو القانون .. إنه الحماية المثلى للأبرياء .

أدار عينيه إلى جثة (رشاد) ، والمحامى الملقى فوقها ،
قبل أن يضيف فى مقت واضح :

- أما المجرمون ، فيحتاجون إلى قانون خاص .

وفى بطاء ، انحنى يلتقط قناع (نديم) ، ثم ناوله إياه ،
مضيفاً :

- ومكافح للجريمة من طراز خاص .

ارتفع حاجبا (نديم) فى دهشة ، فابتسم (مجدى)
ابتسامة متوترة ، وهو يكمل :

- وربما تتحقق العدالة بحق ، لو امتزج هذا بذاك .

التقط (نديم) قناعه ، ودسّه فى جيبه ، قائلاً بابتسامة
هادئة :

- نعم .. ربما .

صمت الاثنان بضع لحظات ، وكلاهما يتطلع إلى عيني
الآخر مباشرة ، قبل أن يلوح (مجدى) بيده ، قائلاً :

- هيا .. انصرف أنت ، واذهب للاطمئنان على زميلتك ،
وسأمنظر أنا قدوم زملاء ، من رجال الشرطة .

صافحه (نديم) فى صمت ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

- أعتقد أن عودتك إلى هنا لم تكن رسمية ، لذا فهناك
إجراء بسيط ، يعفك من المسئولية تماماً .

ابتسم (مجدى) ، قائلاً :

- بطاقتك .

أجابته (نديم) بابتسامة مماثلة :

- بالضبط .

بعد كلمته باثنتى عشرة دقيقة فحسب ، وصل رجال
الشرطة إلى مبنى شركة (السلباوى) ، وإلى حجرة مكتب
هذا الأخير ، ليجدوه أمامهم جثة هامة ، وفوقه سقط
المحامى (إدوارد) فاقد الوعي ، وعلى صدره بطاقة
بيضاء صغيرة ، تحمل رمزاً يعرفونه جيداً ..

رمز (العقرب) ..

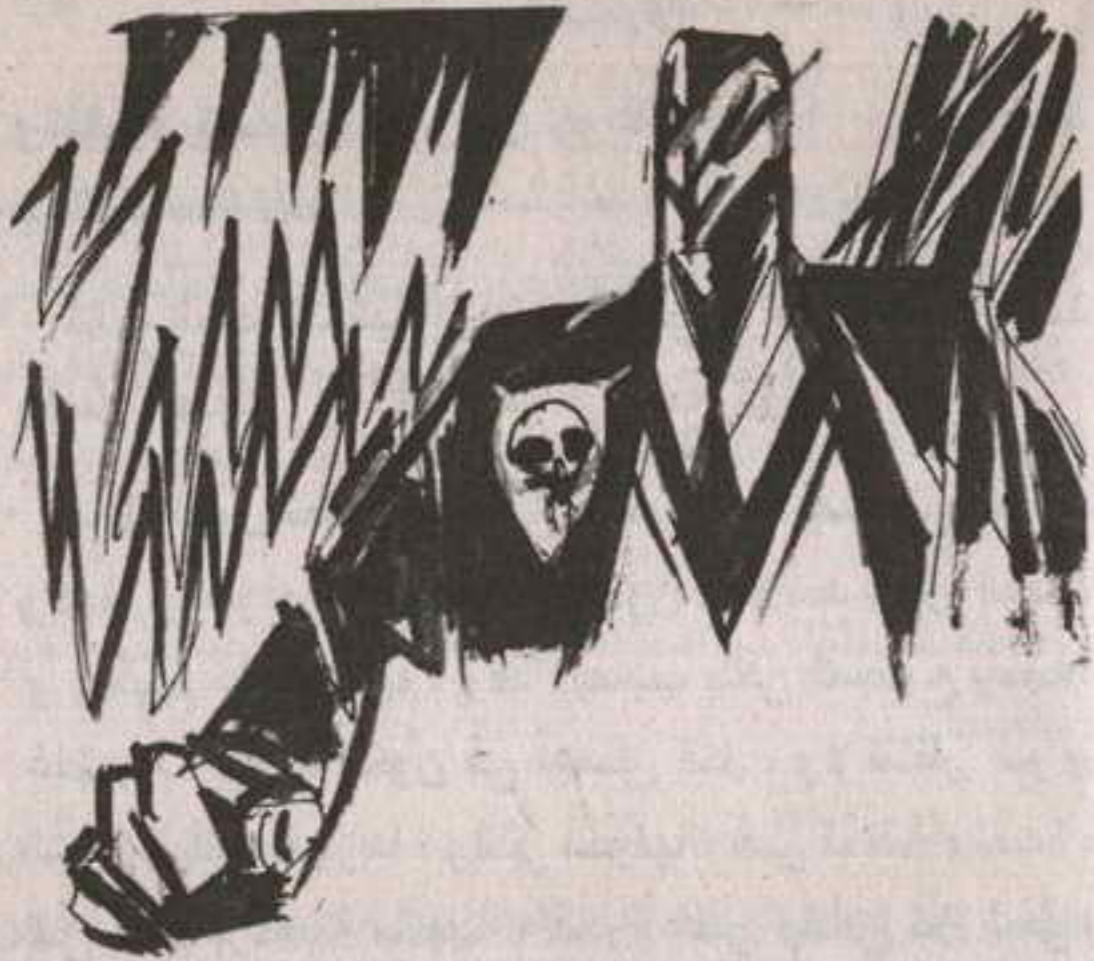
ولكن أحدًا منهم - باستثناء العقيد (مجدى) - لم يتصور قط أن هذه المهمة ، كانت تختلف تمامًا عن كل مهمة سابقة له ..

فقد كانت أول مهمة رسمية ..

بحق .

★ ★ ★

تمت بحمد الله



(قصة قصيرة)

القرار ..

« العالم أصبح فاسدًا .. » ..

هتف بالعبارة في حلق ساخط ، وهو يتحرك في عصبية ، داخل حجرة مكتبه الضخمة ، قبل أن يلوح بذراعه ، مستطردًا :

- العنف انتشر على نحو غير مسبوق ، ورائحة الفساد تزكم الأنوف ، وتكتم الأنفاس .. الدول الغنية تزداد ثراءً ،

والفقراء ينطحنون ويموتون جوعاً ومرضاً ، ولا أحد يمد يد المساعدة لأحد ..

كانت الحجرة خالية إلا منه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد واصل الحديث ، وكأنه يخطب في جمع كبير :

- كل الدول تعاني من فسق المترفين .. أصحاب الأموال والجاه والنفوذ أصبحوا فوق القانون .. لا أحد يصل إليهم ، أو يعاقبهم على أفعالهم ، وهذا يصيب باقى المجتمع بإحباط غاضب .. الثورة تتكوّن فى أعماق الكل ، ولا تنتظر سوى الشرارة التى تفجرّها ، والتى تحوّلها ، فى لحظة واحدة ، إلى حمم بركانية ملتهبة ، قادرة على ابتلاع كل شىء أمامها ، والتهامه بلا رحمة أو هوادة ..

انطلقت فى أعماق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، كالحمم التى تحدّث عنها منذ ثوان ، قبل أن يعود إلى مقعده الكبير ، ويلقى جسده عليه ، متابعا فى حدة :

- وعندئذ لن تصلح الجيوش ، أو حتى وسائل الأمن والسيطرة ، التى تحيط بها الحكومات أنفسها ، وتستخدمها لتكميم أفواه شعوبها ، وثب الرعب فى نفوسها ، وإجبارها على الطاعة والخضوع .. لن يصلح كل

هذا ، إذا ما اشتعلت الأمور ، فى إيقاف نهر الغضب الثائر .. حكومات عديدة تصوّرت أن سياسة القمع والترهيب تضمن لها البقاء والاستمرار ، وظلّت على تصوّرها هذا ، حتى سقطت وانهارت ، وداستها الأقدام الغاضبة ، أو علقتها الأيادى الثائرة ، على حبال المشائق ..

مطّ شفتيه ، وعاوده ذلك الغضب الساخط ، وهو يضيف :

- والحل؟! لا يوجد حل .. لا يوجد سوى حل واحد .. أن يبنى هذا العالم الفاسد كله ، ليبدأ بداية جديدة ، وقد تطهّر من كل فساده وموبقاته .

نهض من مقعده بحركة حادة ، واتجه نحو النافذة ، وتطلّع عبرها لحظة ، قبل أن يطلق زفرة ملتهبة جديدة ، قائلاً :

- سيبقى البعض حتماً .. الإنسان لم يخترع - على الرغم من جهوده المستمرة ، فى مجال الشر والتدمير - سلاحاً واحداً ، يمكنه إبادة الحياة تماماً ، من على وجه الأرض .. حتى تلك القنبلة فوق الأمينية الأخيرة ، قالوا إنها ستفنى ثمان وتسعين

في المائة ، من صور الحياة ، على كوكب الأرض .. وليس
مائة في المائة .. سيبقى إثنان في المائة إذن ، وأنا واثق
من أن القدر سينتخب الأفضل عندئذ .

صمت بضع لحظات ، وهو يتطلع إلى ساحة قصره
الكبيرة ، الممتدة على مدى البصر ، قبل أن يتابع :

- هذا لأن الحياة لا بد وأن تستمر .. خاصة وأن تلك
القنبلة الجديدة قادرة على إفناء البشر والحيوان والطيور
فحسب ، أما المباني ، والمنشآت ، والتكنولوجيا ، وكذلك
النبات بأنواعه ، فكلها سيبقى ... سيبقى في خدمة الاثنين
في المائة ..

تنهد هذه المرة ، مضيفاً :

- الحياة ستستمر ، دون فساد وخراب ودمار .. لن يكون
هناك مبرر للتناحر والتقاتل .. على الأقل لزمان قادم طويل ..
زمان ستحمل فيه الأرض كل خيراتها ، لعدد قليل من البشر ..
لن تكون هناك حاجة لأجهزة شرطة ، تسيطر وتتحكم ، بأكثر
مما تخدم وتحمي .. أجهزة تنافس عصابات اللصوص
والبلطجية ، بدلاً من أن تجند جهودها للقضاء عليها ،
وتحجيمها ، وتأمين المواطن العادي البسيط من شرورها
وعنفها ..

عاد يلوح بذراعه ، في سخط عنيف ، مكرراً :

- عالم فاسد .. فاسد .. فاسد ..

وصمت لحظة ، أطل خلالها مقت مخيف من عينيه ،
وتقاطر على لسانه ، وهو يضيف :

- عالم لا يستحق البقاء .

لم يكذ يكمل عبارته ، حتى سمع طرقات حذرة على باب
حجرة مكتبه ، فاعتدل في وقفة عسكرية صارمة ، وهو
يقول :

- ادخل .

دخل قائد القوات إلى حجرته ، وأدى التحية العسكرية
في قوة ، قبل أن يسأل :

- هل اتخذت قرارك يا سيادة الرئيس !؟

انعقد حاجباه في صرامة ، وهو يسأله :

- هل راجعت الخبراء ، وتأكدت من أننا آمنون تماماً من
تأثيرها ، في مخبئنا هذا !؟

أجابته قائد القوات في سرعة :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .

التقط نفساً عميقاً ، ثم قال في حزم صارم أمر :

- اطلقها إذن .. اطلق القنبلة فوق الأمنية .

قالها ، وتألقت عيناه في ظفر جنوني ، على الرغم من أنه كان يشعر بالارتياح والثقة في أعماقه ..

لقد اتخذ قراره بمنتهى الحزم والحسم ، و ...

والاقتناع .

روايات مصرية للحب
كوكبي

حبيبي

(دراسة)



طبعة ونشر
المؤسسة العربية الجديدة
للتعريب والنشر
1981 - 1982 - 1983
طبعة 1981

١- الحب ..

أول سؤال تفتح عليه عيوننا ، فى لحظات الصبا
الأولى ..

ما هو الحب !؟

ما طبيعته !؟

وما هيته !؟

وحدوده !؟

ومع أول خفقة حب فى قلوبنا ، ننسى كل هذا ..

ونحب ..

فقط نحب ..

فالحب أشبه بنسيم دافئ ، فى يوم بارد ، قارس
البرودة ، ما إن يشعر به جسدك ، وينبض به قلبك ،
حتى ينتعش كيانك كله ، وتتغير كيمائية مشاعرك
فى لحظة واحدة ، وتغرق حتى قمة رأسك ، فى

إهداء

إليك
أنا

وعندما تتطلع إلى وجهه وعينيه ، تتمنى لو أنه بحر ،
وأنت سمكة تعيش فيه إلى الأبد ، وتحيا وتتففس من
أعماقه ..

ولن تملّ النظر إليه قط ..

ستأمل لو أن عينيك قد التصقتا به ، وانتقلتا إليه ،
وأصبح بإمكانهما أن يتابعاه في روحه وغدوه ، وليله
ونهاره ، وصعوده وهبوطه ..

وعندما يغيب عن بصرك ، ستعدو روحك خلفه ، وتلهث
وراءه ، وتترك جسدك دون استئذان ، لتلقى نفسها بين
ذراعى ظله ..

وعندما يختفى من أمام بصرك ، سيولد مرة أخرى في
عقلك ..

في خيالك ..

في كيانتك ..

في وجدانك كله ..

بحر من العواطف ، لم تكن تتصور حتى وجوده في
أعماقك ..

فقديمًا كانت لديك معارف ..

وصداقات ..

وزمالات ..

وجيران ..

وأقارب ..

وأسرة ..

ثم فجأة ، أضيف إلى القائمة ضيف جديد ..

حبيب ..

شخص ما ، لا تكاد تراه ، حتى لا يكتفى قلبك بالخفقان ،
والرقص بين الضلوع ، وإنما ينقل نبضاته وخفقاته إلى كل
عرق وشريان في جسدك ..

بل وكل ذرة من كيانتك ..

ستراه داخلك في كل لحظة ، وتشم رائحته في كل
مكان ، وتشعر بوجوده في كل موقف ..

حتى أحلامك ، ستحوم كلها حوله ، معبرة عن شوقك
إليه ، ولهفتك عليه ، وأملك في أن تصحو ، لتراه أمام
عينيك ..

وإذا ما لمستَه يوماً ، فستشعر وكأن هذه اللمسة قد
أطلقت في جسدك تياراً كهربياً ناعماً رقيقاً ، ولكن قوته
تكفي لإنارة ألف مدينة ، لألف ألف عام ..

وسيسرى هذا التيار في جسدك طويلاً ..

طويلاً جداً ..

وسيضىء نفسك ..

وقلبك ..

ومشاعرك ..

النور سيغمر كيائك ، حتى ولو كنت في قلب الظلام
وأعماقه ..

وقلبك سيشتعل بشعور مبهر ..

جسدك كله سينطلق بنشاط لم تعرفه في حياتك أبداً ..

ولن تنسى هذه اللمسة أبداً ..

ستحتضنها أطرافك العصبية ، وتختزنها ..

وتدمنها ..

دوماً ستتمنى أن تحظى بها ثانية ..

وأبداً ستحفرها في عقلك ..

ولفترة طويلة ، ستقدس موضع تلامسكما ، وتعشقه ،

وتغمره بعواطفك وقبلاتك وحنانك ..

أما كلمات من تحب ، فستبدو لأذنيك كأجمل وأعذب

موسيقى ، في الكون كله ..

لحنها سيثب من أذنيك إلى قلبك مباشرة ، وستشعر به

يرقص على أجمل سيمفونية في الوجود ..

سيمفونية لن يملها كيائك قط ..

وسيظل يعزفها أبد الدهر ..

سيمفونية يقودها قلبك ، ويعزفها أوركسترا خلاياك
كلها ..

إلى أبد الأبدين ..

أما ابتسامة الحبيب ، فهي دنيا ما بعدها دنيا ..

هي أجمل مشهد تراه عينك ..

وأعظم لحظة يعيشها بصرك ..

وأكبر متعة تحظى بها مشاعرك ..

وأسعد لحظة يعيشها كيانك ..

ابتسامته هي ابتسامة الدنيا في نظرك ..

هي ضحكة الكون ..

وفرحة العمر ..

وأمل كل يوم ..

بل هي هدف ، ستسعى إليه ، منذ تفتح عينيك في
الصباح ، وحتى تغلقهما في الليل .. وحلم إما أن تراه ،
أو تتمنى رؤيته طوال الوقت ..

أما لو بكى من تحب ، فستشعر بقلبك يبكي معه ..

يبكي دماً ..

دموعه ستصبح حمماً ملتهبة ، تلتهم أعصابك ومشاعرك

بلارحمة ..

ولن يهدأ لك بال حتى تمسحها ..

حتى تمحوها بكل قوتك ..

وكل حبك ..

وحتى تعود إليه الابتسامة ..

وبأى ثمن ..

وأحلامه ستصبح بالنسبة لك أهدافاً ، تسعى قبله ؛

لتحقيقها له ..

أمنيته هي أمنياتك ..

رغباته كل ما تقاقل من أجله ..

كل ما يريد هو أمر مباشر لقلبك ..

لكياتك ..

لقدراتك ..

وآه لو نطقت شفتاه بكلمة حب واحدة ..

عندئذ ترتجف أذناك ، وتنتقل ارتجافتها إلى قلبك ،

ومشاعرك ..

إلى كل خلية في جسدك ..

وسيفق قلبك ..

ويخفق ..

ويخفق ..

ويستمر في الخفقان ، مادامت الكلمة تتردد في

أعماقك ، وتعربد في وجدانك ..

ولن تنساها أبداً ..

أبداً ..

ولاتسأل نفسك لماذا ..

فهذا هو الحب ..

شعور لا يمكن وصفه بعبارات محدودة ..

أو حتى في بحر منها ..

فهو يحتاج إلى محيط من الحبر ..

وشلال من الورق ..

وقرون من الدهر ..

وموسوعات من الشعر ..

وأطنان من الأقلام ..

وفيض من المشاعر ..

ونهر من الأحاسيس ..

وبحيرات من الانفعالات ، و ...

وقلب يحب ..

قلب واحد ، خفق بالحب ، يكفي ليمنحنا جواب

السؤال ..

فهذا هو الحب ..

الحب ..

كل الحب ..

تابع في الكتاب القادم بإذن الله

روايات مصرية الجيد

حكي
٢٠٠٠

قصة العدد

السلسلة الوحشية



مقدمة ونشر
المؤسسة العربية للدراسات
والبحوث
القاهرة - ليبيا - بيروت
٢٠٠٠

« يالها من ليلة ! »

تثاءب رئيس المباحث (شريف عز الدين) فى قوة ، بعد أن تتمم بتلك العبارة ، ثم اعتدل فى مجلسه ، وفرك عينيه ، متابعاً فى إرهاق واضح :

- كان ينبغى أن أقضى هذه الليلة فى منزلى .

ابتسم مساعده الرائد (عمر) ، وهو يقول :

- إنها ليلة هادئة على أى حال .

انتقلت ابتسامته إلى (شريف) ، وهو يعود للاسترخاء فى مقعده ، قائلاً :

- ربما هذا هو سبب إرهاقى ؛ فعندما يعتاد المرء إيقاع العمل المتواصل ، يرهقه كثيراً أن يقضى الليل فى قراءة بعض الصحف القديمة ، وهو مسترخ فى مقعد وثير ، أمام تلفاز ملوّن .

وافقه (عمر) بإيماءة من رأسه ، قبل أن يقول :

- النوبتجيات فى هذه المنطقة الراقية ، تختلف حتماً عنها فى المنطقة الشعبية ، التى انتقلت منها إلينا ، بإسيادة المقدم .

لوح (شريف) بكفه ، وأسبل عينيه ، فى شىء من الإرهاق ، وهو يقول :

- لا تحاول إقناعى بأن الجريمة منعدمة ، فى الأحياء الراقية ، فخبرتى علمتنى أن الجريمة يمكن أن تحدث فى أى مجتمع .

مرة أخرى ، وافقه (عمر) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- هذا صحيح ، ولكن الجريمة تتخذ شكلاً عنيفاً وعلنياً فى المعتاد ، فى الأحياء الشعبية ، نظراً لبساطة سكاتها ومباشرتهم ، أما هنا ، فالناس تتصور أن الاستعانة بالشرطة أمر يؤذى سمعتهم ، ويفسد صورتهم الاجتماعية ، لذا فهم يخفون ما يحدث داخل مجتمعهم بقدر الإمكان ، ويسعون لحل خلافاتهم على نحو غير رسمى .

صمت (شريف) بضع لحظات ، محاولاً استيعاب ذلك المنطق ، ثم لم يلبث أن غمغم ، وهو يسترخى أكثر فى مقعده :

- سنرى ، على أية حال .

أغلق عينيه تمامًا ، محاولاً إقناع نفسه بقليل من النوم ،
وقد بلغ منه الملل مبلغه ، و ...

وفجأة ، انطلق رنين الهاتف ...

ومع حالة الصمت والهدوء ، التي غرق فيها مع مساعده
طوال الليل ، بدا رنين الهاتف أشبه بقنبلة ضوضاء ،
تفجرت فجأة في المكان ، ففتح معها (شريف) عينيه ،
واعتدل في مقعده بحركة حادة ، في حين وثب (عمر) من
مكانه ، واختطف سماعة الهاتف بحركة آلية ، قائلاً :

- مكتب المباحث .. ماذا هناك !؟

شعر (شريف) بمزيج من القلق والحيرة ، مع الدهشة
العارمة ، التي ارتسمت على وجه (عمر) ، وهو يقول
بلهجة ملؤها الانفعال :

- فليكن .. سنأتى على الفور ..

ولم يكذ يعيد السماعة إلى موضعها ، حتى سأله
(شريف) في اهتمام ، حمل رنة من التوتر :

- ماذا هناك !؟

قلب (عمر) كفيه في صمت ، استغرق منه بضع لحظات ،
وكأنما لا يجد ما يقوله ، ثم لم يلبث أن أجاب بصوت مبجوح :

- جريمة في الحى .

تألقت عينا (شريف) ، وهو يهبط من مقعده ، قائلاً :

- رأيت ! حتى هذه الأحياء الراقية ، لا تخلو من الجرائم .

والتقط سترته في حماسة ، وقد دبّ في جسده نشاط
عجيب ، مستطرداً :

- ولو أردت رأيي ، فهذه الأحياء بالذات هدف لأي لص ،
يسعى للاستيلاء على ما خف حمله ، وغلا ثمنه ، و ...

قاطعته (عمر) ، في توتر ملحوظ :

- ليست جريمة سرقة يا سيادة المقدم .

تطلّع إليه (شريف) في تساؤل حائر ، فتابع بكل
التوتر :

- إنها جريمة قتل .

تجمت يدا (شريف) بضع لحظات ، وهو يرتدى سترته ،

وحدق في وجه (عمر) مبهوتًا ، قبل أن ينتزع نفسه من هذه الحالة ، ويكمل ارتداء سترته ، قائلاً في سخرية عصبية :

- وتقول : إن الأحياء الراقية أكثر هدوءًا .

هزَّ (عمر) رأسه في حيرة ، وهو يتبعه إلى الخارج ، قائلاً :

- صدقتي يا سيادة المقدم .. إننى أعمل هنا منذ ستة أعوام ، وهى أول جريمة قتل تحدث ، طوال هذه الفترة .

جمعتهما سيارة الشرطة ، التى شقت بهما شوارع ذلك الحى الهادئ ، فى طريقها إلى مسرح الجريمة ، و(شريف) يسأله :

- أديك أية معلومات عن الجريمة!؟

هزَّ (عمر) رأسه ، مجيبًا :

- القليل جدًا ، فكل ما أخبرونى به ، هو أن القتل رجل أعمال شهير ، يدعى (توفيق زاهر) فحسب .

غمغم (شريف) ، وهو يضع فى ذهنه تصورًا مبدئيًا للجريمة :

- رجل أعمال .. آه .. يبدو أنها جريمة دافعها المال على الأرجح .

وكتداع طبيعى ، بالنسبة لرجل مباحث محنك ، راح عقله يرسم ويضع كل الاحتمالات ، المتعلقة بمقتل رجل أعمال شهير .

أول الاحتمالات التى وضعها هو السرقة ، باعتبار أن أى لص محترف ، سيسيل لعبه حتمًا ، لسرقة رجل أعمال شهير ، ولو ضبطه رجل الأعمال فى أثناء السرقة ، فمن المحتمل أن يتطور الأمر إلى جريمة قتل ..

ثم هناك عوامل المناقسة ، التى تجاوزت ، فى الآونة الأخيرة ، حدود الأخلاقيات والشرف ، وأصبح من المحتمل أن تبلغ حد القتل ..

وهناك أيضًا ...

« وصلنا يا سيادة المقدم .. »

انتزع (عمر) من حساباته ، فاعتدل في مقعده ،
وتنحج قائلاً :

- فليكن .. دعنا نسعى لكسر الرقم القياسى ، فى زمن
حل هذه الجريمة ..

غمغم (عمر) :

- أتعثم هذا ..

شدّ (شريف) قامته ، واتجه بخطواته الحازمة القوية ،
نحو الفيلا الأنيقة الصغيرة ، التى يقيم فيها (توفيق زاهر)
وحده ، فى أطراف ذلك الحى الراقى ، واستقبله عند بابها
أحد ضباط الدورية الراكبة ، التى تلقّت بلاغ الحادث فى
البداية ، فسأله فى حزم ، اعتاده من طول عمله فى
المباحث :

- أين موضع الجريمة ؟!

أجاب الضابط ، فى توتر شديد :

- فى حجرة مكتب القتل .

ثم هز رأسه ، مضيفاً فى انفعال :

- إنه أمر بشع .. بشع للغاية ! لست أدري كيف يقدم
أدمى على أمر كهذا !

انعقد حاجبا (شريف) ، وهو يغمغم فى عصبية :

- إلى هذا الحد ؟!

أشار الضابط بيده ، قائلاً :

- سترى بنفسك يا سيادة المقدم .

بدأ التوتر يتصاعد فى أعماق (شريف) ، وهو يدلف
إلى الفيلا ، وقد اتخذت الجريمة فى ذهنه منحى جديداً ،
راح يقوده إلى فكرة الانتقام ، فى حين قال (عمر) فى
تحفظ :

- هذا الضابط يعمل فى القوة منذ سنوات ، ولكننى لم
أره يوماً بهذا الانفعال العنيف .

قال (شريف) فى صرامة :

- من الواضح أنه لم يشهد حادثة قتل من قبل ، أو ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، مع دخوله إلى حجرة المكتب ،
التى وقعت فيها الجريمة ..

فما رآه أمامه كان بالفعل بشعاً ..

بشعاً للغاية ..

التقط الطبيب الشرعى نفساً عميقاً ، وهو يخلع قفازيه المطاطيين ، ويلقيهما فى وعاء صغير أحضره معه ، قائلاً :

- التفاصيل الكاملة لن يمكنك الحصول عليها ، إلا بعد نقل الجثة إلى المشرحة ، وفحصها جيداً ، ولكن ما أستطيع أن أقوله مبدئياً ، هو أن القتيل قد تعرّض إلى حرارة شديدة مباغتة ، فى منطقة الوجه والصدر ، شوّهت بعض ملامحه ، وأصابته بصدمة عصبية (*) ، أدت إلى هبوط فى الدورة الدموية على نحو مباغت ، ليسبب وفاة فورية .

(*) الصدمة العصبية : مصطلح طبي ، يستخدم للتعبير عن حالة يتصاعد فيها الألم إلى درجة تؤدى إلى تفتح كل الأوعية الدموية الصغيرة ، التى تجذب كل الدم ، مما يؤدى بالتالى إلى هبوط حاد فى الدورة الدموية ، أما الصدمة النفسية ، التى كثيراً ما يخلط العامة بينها وبين الصدمة العصبية ، فهى حالة معنوية ، قد تؤدى أيضاً إلى آثار فسيولوجية مدمرة .

سأله (شريف) فى اهتمام :

- وماذا عن صدره الممزق؟!؟

هزّ الطبيب الشرعى رأسه ، مجيباً :

- هذا أغرب ما فى الأمر ، فبعد وفاته مباشرة ، وربما قبل أن تتوقف أنفاسه ، مزقّ القاتل صدره فى وحشية ، وانتزع قلبه .

هتف (عمر) مبهوراً :

- انتزعه؟!؟

تنهّد الطبيب الشرعى ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً :

- نعم .. القلب تم انتزاعه بعنف وحشى ؛ حتى إن الشرايين والأوردة المتصلة به ، قد تمزقت على نحو مخيف .

هتف (عمر) مستنكراً :

- ولماذا يفعل أى مخلوق طبيعى هذا؟!؟

انعقد حاجبا (شريف) ، وهو يقول فى صرامة :

- كل شىء له أسبابه .

وقبل أن يلقي (عمر) سؤالاً آخر ، التفت (شريف) إلى الطبيب الشرعي ، متسائلاً :

- والآن هل يمكن رفع الجثة من هنا ؛ حتى يمكننا استكمال تحقيقاتنا واستجواباتنا!؟

أوماً الطبيب الشرعي برأسه إيجاباً ، وقال :

- بالتأكيد .. أعتقد أيضاً أن رجال الأدلة الجنائية قد انتهوا من عملهم .

ثم تشاءب ، وهو يلقي نظرة على نافذة حجرة المكتب ، المطلة على حديقة خلفية صغيرة ، والتي بدت منها أضواء الفجر واضحة ، قبل أن يتابع :

- وأراهنك على أنهم لم يجدوا أية بصمات للقاتل .

التقط مسئول الأدلة الجنائية العبارة ، وقال :

- يوجد عدد من البصمات هنا ، ولكن معظمها للقتيل على الأرجح .

قال (شريف) في صرامة :

- دعونا لانستبق الأحداث ، حتى خروج التقارير الرسمية النهائية .

مطاً (عمر) شفتيه ، دون أن يعلق بحرف واحد ، وواصل صمته هذا ، حتى انتهى الجميع من أعمالهم ، وغادروا المكان كله ، في السادسة والرابع صباحاً ، وعندئذ قال في توتر :

- إنها أول مرة أشاهد فيها جريمة كهذه .. لماذا ينتزعون قلبه بالله عليك .

بدا (شريف) صارماً حازماً ، وهو يقول :

- ربما كان هناك شق عاطفي ، وراء هذه الجريمة ، وانتزع القلب تعبير عن هذا .

هزاً (عمر) رأسه في حيرة ، قائلاً :

- ولكن الرجل غير متزوج ، والكل يؤكد أنه لم تكن له أية علاقات نسائية .

اتجه (شريف) نحو ثقب في الجدار ، وهو يقول في حزم :



- هذه الأمور قد تحدث سرًا أيضًا .

قال (عمر) ، في حيرة أكثر :

- ولكن لماذا؟! إنه مليونير ، ويمكنه أن ...

قاطعته (شريف) في صرامة :

- هل استجوبت رجال أمن وحراسة الفيلا؟!!

لم ترق هذه المقاطعة للرائد ، إلا أنه شد قامته ، وأجاب

في سرعة :

- نعم ، ولقد اتفقت أقوالهم على أن كل شيء كان هادئًا ، وكان القتل ينجز بعض الأعمال في مكتبه ، حتى ساعة متأخرة كعادته ، عندما سطع الضوء بغتة ، في الحديقة الخلفية ، على نحو أشبه بضوء مصابيح التصوير الخاطف ، وبعدها انطلقت صرخة رهيبية من القتل ، دفعت الجميع إلى أن يهرعوا إليه ، وعندما وصلوا ، كانت حجرة المكتب موصدة من الداخل ، لذا فقد دار بعضهم إلى الحديقة الخلفية ، ورأى المشهد البشع ، عبر نافذتها ، فحطمها ليدخل إلى حجرة المكتب ، ويفتح بابها للآخرين ، الذين أبلغوا الشرطة على الفور .

انعقد حاجبا (شريف) في شدة ، وهو يقول في حدة :

- مستحيل !

تساءل (عمر) ، في دهشة حائرة :

- ولماذا مستحيل؟!!

أجابته (شريف) في صرامة :

- لأنه وفقًا لأقوالهم ، كانت حجرة المكتب كلها مغلقة من الداخل ، ولو أن هذا صحيح ، لوجدوا القاتل بالداخل ، وألقوا القبض عليه متلبسًا .

اتسعت عينا (عمر) ، كمن ينتبه إلى هذه الحقيقة لأول مرة ، وغمغم :

- يا إلهي ! هذا صحيح .

رفع (شريف) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

- هناك أمر آخر .

سأله (عمر) ، فى شىء من اللهفة :

- وما هو !؟

اندفع (شريف) خارج الحجرة ، وهو يقول فى حزم :

- المسافة التى فصلنا عن موقع رجال الأمن والحراسة قصيرة للغاية ، حتى إننى أعتقد أن وصولهم إلى هنا ، فور سماعهم الصرخة ، لن يحتاج إلى أكثر من دقيقتين ، لو افترضنا أنهم سيسيروا فى هدوء ، ولن يندفعوا كالبرق ، والحديقة الخلفية ذات أسوار عالية للغاية ، ولقد فحصتها بنفسى ، ومن المستحيل أن يكون أى مخلوق قد تسلق تلك الأسوار ، دخولاً أو خروجاً ؛ لأن الأغصان والزهور ، الملتفة حول الأسوار ، لم تصب بأذى تلف ، وهذا يعنى أنه ، حتى

لو هرب القاتل من النافذة ، فسيكون عليه أن ينتقل إلى الحديقة الأمامية ، حيث سيرونه حتماً .

سأله (عمر) فى اهتمام منفعل :

- ما الذى تريد قوله بالضبط ، يا سيادة المقدم !؟

توقف (شريف) دفعة واحدة ، وهو يقول فى صرامة :

- أعنى أنه من المستحيل أن تتم جريمة القتل ، وفقاً لأقوال رجال الأمن والحراسة ، مع الحالة التى وجدنا عليها المجنى عليه .

سأله (عمر) فى حذر :

- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا !؟

أجابه (شريف) ، فى سرعة وصرامة :

- أنهم يكذبون .

ثم مال نحوه ، مضيفاً :

- أو أنهم قتلة .

وانتفض جسد (عمر) ...

فى عنف ..

- تقرير الطب الشرعى الرسمى أكد الرأى الأوكى للطبيب ..
لقد تفجّر شىء ما فى وجهه (توفيق زاهر) ، فقتله على
الفور ، ولم يكتف القاتل بهذا ، وإنما شق صدره ، وانتزع
قلبه ، بمنتهى القسوة والوحشية .

ثم انعقد حاجباه فى شدة مرة أخرى ، وهو يضيف :

- وانتزع شيئاً ما من الجدار أيضاً .

مال (عمر) إلى الأمام ، متسائلاً :

- أى شىء هذا ؟!

هزّ (شريف) رأسه فى توتر بالغ ، وهو يجيب :

- لست أدرى .. هناك فجوة فى الجدار ، توجى بأن شيئاً ما
كان هناك ، ثم تم انتزاعه فى سرعة وعنف .

قال (عمر) فى حذر :

- لقد رأيت تلك الفجوة ، ولكنها تبدو أصغر من أن
تحوى خزانة سرية ، أو ...

قاطعه (شريف) فى حدة :

- ليست خزانة .

٢ - الحلقة الثانية ..

التقى حاجبا (شريف) فى شدة ، وهو يراجع تقريرى
الطب الشرعى والأدلة الجنائية للمرة الخامسة ، خلال
ساعة واحدة ، فأشار (عمر) بيده ، قائلاً فى خفوت :

- القراءة لألف مرة ، لن تضيف جديداً .

أزاح (شريف) الأوراق عن وجهه ، قائلاً فى عصبية :

- ولكن هذه التقارير تبدو لى مستحيلة .

وصمت لحظة ، ثم لوّح بيده ، هاتفاً فى حدة :

- وسخيفة أيضاً .

تنهّد (عمر) ، وتراجع فى مقعده ، قائلاً :

- فلنعترف أن الأمر غامض بحق .

صاح (شريف) ، وهو ينهض من مقعده بحركة حادة :

- بل هو أمر مستحيل .

بدا شديد العصبية ، وهو يتحرّك فى الحجرة ، متابعاً :

تساءل (عمر) في حيرة :

- ما الذي تم انتزاعه من الجدار إذن!؟

هزاً (شريف) رأسه في قوة، وهو يقول في توتر بالغ لل غاية :

- لست أدري .. لست أدري .

شعر (عمر) بالإشفاق عليه، مع العصبية الشديدة، التي يراه عليها، فنهض يربّت على كتفه، قائلاً :

- وماذا عن نظرية اشتراك رجال الأمن والحراسة في ارتكاب الجريمة!؟

زفر (شريف)، في عصبية واضحة، قبل أن يقول :

- لقد كنت أتبنى هذه النظرية بمنتهى الحماسة، قبل أن أرتطم بعائق بالغ الأهمية .

ثم رفع سبابته أمام وجهه، مكماً في مرارة :

- الدافع ..

وافقه (عمر)، قائلاً :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٠٧

- هذا صحيح، فالفحص أكد أن كل شيء على حاله .. كل النقود، والمجوهرات، والوثائق، والسندات، ثم إنه من غير المنطقي أن يتأمر الرجال على قتل مخدمهم، الذي أكدت كل التحريات حسن معاملته لهم .

عاد (شريف) يتحرك في الحجرة، بنفس العصبية السابقة، قائلاً :

- لا بد أن نستبعد تماماً المال، كدافع للجريمة، فالقاتل، أيّاً كانت هويته، لم يكن يسعى إليه .

وتوقّف دفعة واحدة، ليضيف في حزم متوتر :

- السر كله يكمن في القلب .. لماذا أصرّ القاتل على انتزاع قلب ضحيته، بهذه القسوة والوحشية!؟ لماذا!؟

هزاً (عمر) كتفيه، وقال في حذر :

- كنت أظن أن السر يكمن في كيفية دخول القاتل وخروجه .

كاد حاجبا (شريف) يمتزجان، من عنف التقائهما، وهو يقول :

- هذا لغز آخر .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف بغتة ،
فالتفت إليه (شريف) فى حركة حادة ، فى حين التقط
(عمر) السماع فى سرعة ، قائلاً :

- مكتب المباحث .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى محدثه ، قبل أن
يقول فى صرامة ، حملت موجة عاتية من التوتر :

- سأبلغه فوراً .

سأله (شريف) فى لهفة ، قبل حتى أن يعيد سماعه
الهاتف إلى موضعها :

- ماذا هناك ؟!

رفع (عمر) إليه عينين حائرتين متوترتين ، وهو
يقول :

- إنه الطبيب الشرعى .

سأله (شريف) ، بمنتهى الלהفة :

- هل كشف شيئاً جديداً ، فى جريمة مقتل (توفيق زاهر) ؟!

هزاً (عمر) رأسه ، قبل أن يجيب كالمبهوت :

- بل أخبرنى أنه يفحص الآن جريمة قتل أخرى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بصوت منغل :

- مماثلة .

وخفق قلب (شريف) فى عنف ..

كانت جريمة مماثلة بالفعل ، ولكن فى حى راق آخر ،
من أحياء المدينة ، وفى الطرف الآخر منها ..

فالضحية هو أيضاً رجل أعمال شهير ، يدعى (عادل)
عازر) ، يقيم وحده فى شقة واسعة فاخرة ، من طراز
قديم ، ولقد شهد جاره بأنه قد رأى ، من نافذة حجرة
نومه ، الملاصقة لحجرة مكتب (عادل) ، وميضاً أشبه
بوميض مصباح التصوير ، ينبعث فى قوة ، قبل أن تخترق
صرخة (عادل) أذنيه ، على نحو يوحي بأنه يعانى ألماً
وعذاباً رهيبين ، مع خوف بلا حدود ..

ولقد اتصل الجار برجال الشرطة على الفور ، والتقطت

دورية راكبة اتصاله ، وتوجهت إليه ، لتصل بعد عشر دقائق فحسب ..

ولما لم يستجب رجل الأعمال للطرفقات ، فقد اقتحم رجال الشرطة المنزل ، ثم اقتحموا حجرة المكتب ، المغلقة من الداخل ، ليجدوه ملقى في منتصفها جثة هامدة ..

المدهش أن أحدهم قد انتزع كليته هذه المرة ، بمنتهى القسوة والوحشية ..

« القتل تم بوساطة حرق مباغت ، في الوجه والصدر أيضاً .. »

نطق الطبيب الشرعى العبارة فى توتر ، وهو يشير إلى الجثة الملقاة فى حجرة المكتب ، قبل أن يهزّ دوره فى قوة ، مستطرذاً :

- إننى أعمل فى الطب الشرعى ، منذ عشرين عامًا ، ولم أشهد شيئاً كهذا قط ، حتى فى جرائم الانتقام والثأر ، فى أعماق أعماق الصعيد .

غمغم (عمر) :

- وأنا أيضاً .

أما (شريف) ، فقد انعقد حاجباه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وعيناه معلقتان بفجوة صغيرة فى الجدار ، توحى بأن شيئاً ما قد تم انتزاعه منها بعنف ..

وفى توتر ، تطلّع (عمر) إلى جثة رجل الأعمال الثانى ، مغمماً :

- هذا يسقط نظرية الانتقام العاطفى ، فلقد تم انتزاع الكلى هذه المرة .. أليس كذلك ؟!

كان ينتظر جواباً من رئيسه ، فلما افتقده ، التفت إليه ، مكرراً :

- أليس كذلك يا سيادة المقدم ؟!

أدهشه أن بدا وكأن (شريف) حتى لم يسمعه ، وهو يتجه نحو تلك الفجوة فى الجدار ، ويفحصها بمنتهى الاهتمام والدقة ، فاتجه نحوه ، قائلاً :

- التشابه مذهش .

أشار (شريف) بسبابته ، قائلاً فى خفوت ، يشف عن أنه فى حالة تفكير عميق :

- حجم الفجوة متماثل .. ترى ما الذي كان يخفيه كل منهما ، فى جدار حجرة مكتبه !؟

حاول (عمر) أن يبحث عن جواب للسؤال ، ثم لم يلبث أن غمغم :

- شىء يستحق القتل من أجله بالتأكيد .

استدار إليه (شريف) بحركة حادة ، قائلاً :

- وماذا عن انتزاع الأعضاء !؟

ارتبك (عمر) ، وهو يقول :

- هناك سبب لكل هذا حتماً .

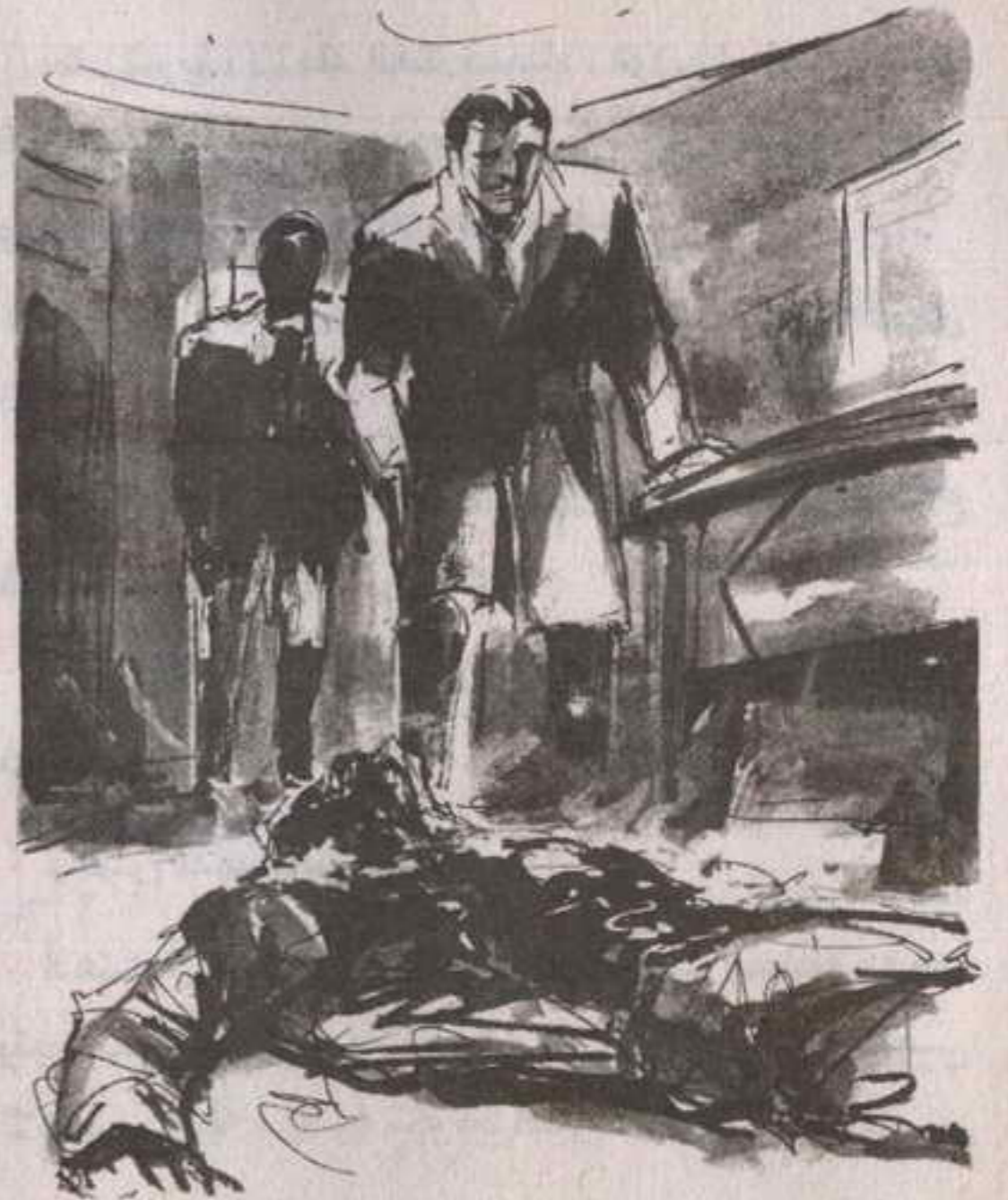
لوح (شريف) بيده قائلاً فى حدة :

- هناك سبب لكل شىء فى الوجود .. المهم أن تدركه ..

ثم توقف ليفكر لحظة ، قبل أن يقول فى حزم صارم :

- أعتقد أننا أمام حالة ، لا وجود لها فى تاريخ الجريمة

فى (مصر) .



تطلع (عمر) إلى جثة رجل الأعمال الثانى ، مغمغماً ،
- هذا يسقط نظرية الانتقام العاطفى ..

سأله في حذر :

- أية حالة !؟

قبل أن تنفجر شفتا (شريف) بالجواب ، ارتفع صوت

صارم غاضب ، يقول في حدة :

- ما الذى يحدث هنا بالضبط !؟

التفت الاثنان إلى صاحب الصوت ، الذى لم يكذب يلمح

(شريف) ، حتى تابع بدهشة بالغة :

- (شريف عز الدين) !؟ ماذا تفعل هنا !؟

مدّ (شريف) يده ليصافحه ، مجيباً :

- هذه الجريمة تتشابه مع جريمة أخرى ، مازلت أحقق

في أمرها ، و...

قاطعته الرجل في حدة ، دون أن يصافحه :

- هذه ليست منطقتك .

بدا التوتر على وجه (عمر) ، مع هذا الأسلوب اللفظي ، ولكن

(شريف) ابتسم ، شأن رجل اعتاد هذا ، والتفت إليه ، قائلاً :

- أقدم لك المقدم (باسم جلال) .. منافسى رقم واحد ،
منذ التحق كلانا بالمباحث الجنائية .

بدا (باسم) هذا شديد الحدة ، وهو يقول :

- لسنا هنا فى حفل تعارف .. إنك لم تجب سؤالى ..
ماذا تفعل فى منطقتى .. ليس من حقك حتى أن تتواجد
هنا ، ولا أن ...

قاطعته (شريف) فى صرامة :

- اسمعنى جيداً ، وكف عن أسلوبك السخيف هذا ..
إننى أتابع جريمة قتل غامضة ، تتماثل مع هذه الجريمة
فى نواح شتى ، وكان من الطبيعى أن أبحث هنا ، عما
يمكن أن يفيدنى فى الجريمة الأولى .

لوهلة ، خيّل لـ (عمر) أن المقدم (باسم) سينفجر
غضباً ، مع احتقان وجهه الشديد ، إلا أنه لم يلبث أن هدأ
فجأة ، وهو يقول فى اهتمام :

- أهى متشابهة كثيراً !؟

أجابته (شريف) فى سرعة وحزم :

- بل متماثلة تقريباً ، لولا اختلاف واحد .

راح يشرح له تفاصيل مقتل (توفيق زاهر) ، و(باسم) يستمع إليه ، فى دهشة مبهورة ، قبل أن يقول :

- يا إلهى ! الأمر يبدو كما لو أننا نواجه قاتلاً متسلسلاً .

هتف (عمر) فى دهشة :

- قاتل ماذا !؟

ربت (شريف) على كتفه ، قائلاً :

- هذا ما كنت سأخبرك به ، عندما وصل المقدم (باسم) .

اندفع (باسم) يقول فى انفعال :

- القاتل المتسلسل هو نوع خاص جداً من القتل ، يرتكب مجموعة من الجرائم ، بدافع يختلف من قاتل إلى آخر ، ولكنه واحد فى كل سلسلة الجرائم ، التى يرتكبها قاتل متسلسل بعينه .

التقط (شريف) طرف الخيط ؛ ليكمل :

- فى معظم الحالات ، يكون هناك دافع نفسى ، وراء ما يرتكبه أى قاتل متسلسل ، والوسيلة الوحيدة ، لمعرفة

ذلك الدافع ، هى دراسة الجرائم التى يرتكبها بمنتهى الدقة ، ودراسة كل ما يتعلق بضحاياه بالدرجة الأولى ؛ لأن هذا النوع من القتل ، ينتقى ضحاياه من فئة بعينها دوماً .

قال (عمر) فى حماسة :

- بالتأكيد ، الاثنان من رجال الأعمال غير المتزوجين ، وكلاهما يحيا وحده .

هز (باسم) رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يقول :

- هذا لا يكفى .

أجابه (شريف) فى سرعة :

- بالتأكيد .. لا بد من معرفة كل تفاصيل حياتيهما .. أعمالهما .. تاريخهما .. صفقاتهما .. كل شىء .

قال (عمر) فى حسم :

- سأبدأ فى جمع التحريات على الفور .

لوح (باسم) بيده ، قائلاً :

- سأجند كل رجالى لهذا ..

ثم استطرد في حيرة :

- ولكنها أول مرة نواجه قاتلاً متسلسلاً في (مصر) .

التقط (شريف) نفساً عميقاً ، قبل أن يقول في حزم :

- لكل شيء بداية .

نطقها ، دون أن يدري أنهم بالفعل أمام البداية ..

بداية سلسلة رهيبه دموية ..

ووحشية ..

إلى أقصى حد ..

« خبر الموسم .. »

هتفت (ياسمين) ، صحفية قسم الحوادث بالعبارة ،

بحماسها الزائدة المعتادة ، وهي تندفع داخل القسم ، ملوحة

بدفتر ملاحظاتها الصغير ، على نحو جعل رئيسها الأستاذ

(فتحى) يسألها في اهتمام :

- ماذا هناك هذه المرة!؟

لهنت من فرط الانفعال ، وهى تلقى جسدها على ذلك
المقعد البسيط خلف مكتبها مجيبة :

- رجل أعمال آخر تم اغتياله ، وتشويه جسده
بوحشية ، خلال أقل من ثمان وأربعين ساعة .

هتف الأستاذ (فتحى) بكل دهشته ، وهو يثب من خلف
مكتبه ، ويختطف دفترها الصغير :

- جريمة قتل أخرى؟! مستحيل!

واصلت لهاثها ، وكأنما كل ذرة فى كيانها تموج
بالانفعال ، وهى تقول :

- ليس هذا فحسب ، ولكنها جريمة مماثلة تقريباً مع
الأولى ، والضحية رجل أعمال أعزب آخر ، من الفئة التى
برزت فى عالم الاقتصاد بغتة ، بعد عودة بورصة الأوراق
المالية .

راجع الأستاذ (فتحى) الملاحظات ، التى دونتها فى
دفترها الصغير ، قبل أن يقول فى اهتمام شديد :

- الدافع .. لابد أن نعرف الدافع .

هتفت في حماسة :

- الانتقام بالطبع .

مال نحوها ، يسألها :

- الانتقام لماذا؟! ما الذى فعله (توفيق زاهر) ،

أو (عادل عازر) ، ليستحقا القتل والتشويه .

لوحت بكفها ، وهى تلتقط شظيرة من حقيبتها ، مجيبة

بنفس الحماسة :

- عالم المال والأعمال قاس وعنيف ، ولا يعرف

الرحمة .. عالم وحشى ، يفترس فيه الكبير الصغير ،

بلا تردد أو هوادة ، ومن المحتمل أن كلاهما قد سحق أحد

الكيانات الصغيرة ، فى أثناء اندفاعه لتكوين ثروته ، وربما

دون حتى أن يتوقف لرؤية نتائج ما فعل .

وقضت قطعة من شظيرتها ، قبل أن تكمل بفم مملوء

بالطعام :

- أو ربما لم يدرك ما فعله ، حتى حدث ما حدث .

عاد الأستاذ (فتحى) إلى مقعده ، وهو يفكر فيما

ذكرته ، قبل أن يقول فى انفعال متحمس :

- احتمال معقول ، ولكن من المؤكد أنه كيان واحد ، ذلك

الذى سحقاه معاً ، فالجريمة تمت بأسلوب واحد فى

الحالتين .

أومات برأسها إيجاباً ، دون أن تنطق حرفاً واحداً ، وهى

تبتلع طعامها ، قبل أن تهتف بصوت مبحوح :

- بالتأكيد .

ضرب سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً فى حماسة :

- موضوع رائع للعدد القادم .. هيا .. ابدئى عمك على

الفور .. أريد تحقيقاً كاملاً عن الحادثتين .. اربطى بين وحشية

الجريمتين ، ووحشية عالم المال والأعمال .. أريده تحقيقاً مثيراً ،

يجذب كل فئات المجتمع ، مع دس فكرة الانتقام واحتمالاته ،

والكثير من المعلومات عن الضحيتين .. كل شىء عنهما ،

منذ دخولهما عالم المال ، وحتى مصرعهما .

أشارت بيدها ، قائلة :

- لقد مررت على القسم الاقتصادى بالفعل ، وطلبت منهم

هناك كل المعلومات المتوافرة ، عن (توفيق زاهر)

و (عادل عازر) .

عاد يضرب سطح مكتبه بقبضته ، صائحاً :

- عظيم .

ثم التقط أوراقه ، ليواصل عمله ، مضيفاً في صرامة :

- وأريد هذا التحقيق ، بشكله النهائي ، على مكنتى هنا ،

صباح بعد الغد .

توقف الطعام بين فكيها ، واتسعت عيناها في ارتياح ،

وحاولت أن تقول شيئاً ، ولكنها سعلت مرتين ، قبل أن

تهتف :

- الوقت لن يكفى لهذا ..

أجابها بنفس الصرامة :

- وفرى وقت النوم ومشاهدة التلفاز .

مطت شفيتها في غضب ، وهي تعيد ما تبقى من

شطيرتها إلى حقيبتها ، وكأنما تعطن غياب شهيتها المفاجئ ،

فسألها الأستاذ (فتحى) ، وهي تنهض من خلف مكتبها :

- إلى أين ؟!

أجابته في حدة :

- سأدخر وقت الطعام أيضاً .

أخفى ابتسامته بيده ، وهو يقول في صرامة مصطنعة :

- بعد الغد ..

هتفت :

- لقد سمعت .

كانت أكثر حماسة منه ، وهي تتجه إلى القسم الاقتصادى ،

وتندفع داخله بحماسة المرحة المعروفة ، هاتفة :

- أين الملفات ؟! هل ستضيعون اليوم كله فى البحث ؟!

أجابها الأستاذ (سالم) ، رئيس القسم الاقتصادى ، بهدوئه

الشديد :

- الأمر لا يحتاج إلى كل هذا الجهد .. إنهما أصغر ملفين

لدينا .

التقطت الملفين ، اللذين ناولها إياهما ، فى لهفة حقيقية ،

وهي تقول :

- أصغر ملفين ؟! ولماذا ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا في بساطة :

- من الواضح أن كلاً منهما لم يكن له ثقل يُذكر ، في عالم المال والاقتصاد ، قبل أن يربحا الملايين ، من تداول الأسهم في بورصة الأوراق ، ويقفزا إلى السطح بغتة .

التقى حاجباها ، وهي تسأله :

- في وقت واحد!؟

أوما برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- تقريبًا .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهي تراجع الملفين في سرعة ، وقد بدا لها أنها قد التقطت طرف الخيط ، أو الحلقة الأولى في السلسلة ..

السلسلة الوحشية .

٣ - الحلقة الثالثة ..

فرد (شريف) الأوراق كلها أمامه ، وهو يراجع كل ما حدث للمرة العاشرة ..

الجريمتان بشعتان وحشيتان إلى أقصى حد ..

وغامضتان على نحو عجيب ..

ومستفز ..

في الحالتين ، كان الضحية في حجرة مكتبه المغلقة من الداخل ..

وعلى الرغم من هذا وصل إليه القاتل ..

ومزقه تمزيقًا ..

وفي الجريمتين سطم ضوء خاطف ، قبل أن يطلق الضحية صرخة رعب وألم ، ويلقى حتفه بصدمة عصبية عنيفة ..

وفي المرتين ، تم انتزاع شيء ما من الجدار ..

شيء صغير ..

وخطير ..

حتمًا ..

وفى الحادثين أيضاً لم يقع بصر مخلوق واحد على
القاتل ..

بل ولم يعرف أحد كيف دخل ، وكيف خرج ..

بل ولا حتى كيف ارتكب جريمته ..

ولماذا ..

« أية جرائم هذه !؟ »

تمتم (شريف) بالسؤال فى عصبية ، وهو يللمم
الأوراق ، وفى داخله يتصاعد غضب شديد ..

غضب ضابط مباحث خبير ، يجد نفسه ، لأول مرة فى
حياته ، أمام لغز جرائم قتل غامضة ، غير قابلة للتفسير ..

وأسئلة بلا حدود ..

كيف وصل القاتل إلى حجرة مغلقة !؟

كيف ارتكب جريمته !؟

وبأى سلاح !؟

لماذا ينتزع أعضاء ضحاياه !؟

وما الذى ينتزعه من الجدران !؟

احتقن وجهه بشدة ، من شدة غضبه وتوتره ، مع
عجزه التام عن إيجاد جواب ، ولو افتراضى ، لكل
ما يحدث ..

وبكل توتره ، التقط نفساً عميقاً ، ملأ به صدره ، قبل أن
يطلقه فى قوة ، على شكل زفرة طويلة ملتبهة ، فى نفس
اللحظة التى دلف فيها مساعده (عمر) إلى الحجرة ، قائلاً
فى انفعال :

- لن تصدق ما توصلت إليه ، بشأن (زاهر) و (عازر) ..

رفع (شريف) عينيه إليه ، محاولاً السيطرة على
مشاعره ، وهو يسأله :

- وما الذى توصلت إليه !؟

خرج السؤال من بين شفثيه حاداً عصبياً ، على الرغم منه ،
إلا أن (عمر) لم يتوقف أمام هذا ، وهو يتجه نحوه ،
مجيباً بنفس الانفعال :

- الاثنان لم يكن لهما وجود ، منذ خمس سنوات فحسب .

انتفض جسد (شريف) فى عنف ، وهو يهتف :

- لم يكن لهما ماذا؟!!

لوّح (عمر) بذراعيه ، مجيباً :

- أى تاريخ؟!!

قالها ، ووضع كومة من الأوراق أمام (شريف) ، متابعاً
بانفعال أكثر :

- انظر .. كل شىء لدينا عنهما يبدأ منذ خمس سنوات
فحسب .. كلاهما استخرج السجل التجارى ، والبطاقة
الضريبية لشركته ، منذ خمس سنوات ، دون أى تاريخ
سابق ، فى عالم التجارة أو الأعمال .

فحص (شريف) الأوراق ببصره ، قبل أن يقول فى حذر :

- وماذا فى هذا؟! أى شخص يمكن أن ...

قاطعته (عمر) فى انفعال ، دون أن ينتبه إلى ما فى هذا
من تجاوز :

- قبل هذا لم نجد اسميهما فى أية وثيقة رسمية ..
لاشهادات تخرّج ، أو جوازات سفر ، أو حتى شهادات ميلاد .

تراجع (شريف) فى مقعده ، متسائلاً فى توتر :

- وماذا عن البطاقات الشخصية ، التى استخرجنا بموجبها
كل أوراق شركتهما؟!!

أشار (عمر) بسبابته ، قائلاً :

- كلاهما يحمل بطاقة رقم قومی جديدة .

هتف (شريف) :

- عظيم .

مال (عمر) نحوه ، مكماً فى حزم :

- ومزورة .

مرة أخرى ، انتفض جسد (شريف) فى عنف ، وهو يهتف :

- مستحيل !

ثم هبّ من مقعده ، مستطرداً فى عصبية :

- بطاقات الرقم القومی لا يمكن تزويرها .

قال (عمر) ، فى حزم عصبى :

- المسئولون عن إصدارها أيضاً يؤكدون هذا .

رفع البطاقتين بسببته وإبهامه ، أمام عيني (شريف) ،
مضيفاً :

- ولكنهما مزورتان .

اختلف صوت (شريف) في حلقه ، وهو يسأله :

- وكيف تأكدت من هذا؟!!

ألقي (عمر) البطاقتين على سطح المكتب ، مجيباً في
حدة :

- أرقامهما لا وجود لها على الإطلاق .

كرر (شريف) في توتر بالغ :

- مستحيل !

وبأصابع غلبها الانفعال ، التقط البطاقتين ، وراح يفحصهما
بمنتهى الدقة ، قبل أن يلقيهما بدوره على سطح المكتب ،
مكرراً :

- مستحيل !

قالها ، واتجه نحو نافذة حجرته ، وراح يحك ذقنه في

عصبية ، وهو يحاول استيعاب هذه المفاجأة الجديدة ، قبل
أن يغمغم في عصبية :

- وكأنا كان ينقصنا لغز جديد .

ضرب (عمر) سطح المكتب براحته ، قائلاً :

- هذا يعني أن الرجلين زائفين ، وربما يمنحنا هنا دافعاً
للجريمتين .

استدار إليه ، متسائلاً في حدة :

- مثل ماذا؟!!

أجابته في سرعة :

- ربما هما شريكان في سرقة كبرى ، ويرغبان في
محو تاريخهما الإجرامي ، وبدء حياة جديدة .. بل وربما
كانت الأموال ، التي اقتحما بها عالم رجال الأعمال ، هي
حصيلة تلك السرقة .

انعقد حاجبا (شريف) في شدة ، وهو يقول :

- احتمال معقول .

ثم تابع في حماسة صارمة :

- راجع بدايتهما جيداً ، واستخرج ملفات كل السرقات الكبرى ، التي لم يتم التوصل إلى الجناة فيها .. أريد كشفاً دقيقاً ، بكل عملية قاما بها ، منذ ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتفه ، فالتقطه هو هذه المرة ، قائلاً في عصبية :

- ماذا هناك !؟

رأى (عمر) جسده ينتفض للمرة الثالثة ، فهتف به :

- هل حدث ما أخشاه !؟

اتسعت عينا (شريف) ، وهو يجيب في توتر شديد :

- نعم .. إنه رجل أعمال أعزب ثالث .

ارتجف صوت (عمر) ، من فرط الانفعال ، وهو يسأل :

- وما الذي انتزعوه هذه المرة !؟

ازدرد (شريف) لعابه ، قبل أن يجيب بصوت مختنق :

- عينيه .

وانتفض جسده (عمر) هذه المرة ..

وبمنتهى العنف ..

اندفعت (ياسمين) داخل القسم الاقتصادي ، وألقت الملفين اللذين راجعتهما عدة مرات ، على مكتب الأستاذ (سالم) ، هاتفه :

- هناك خطأ ما ، في هذه الملفات .

خلع الأستاذ (سالم) نظاره الطبي ، وهو يتساءل :

- أي خطأ !؟

مالت نحوه ، تسأله في اهتمام :

- قل لي : كم تبلغ نسبة النجاح في البورصة !؟

ابتسم ، متسائلاً :

- أي نوع من النجاح !؟

لَوَّحت بكفيها بضع لحظات ، وهي تبحث عن الكلمات المناسبة ، قبل أن تحسم أمرها ، وتسأله في توتر :

- لو افترضنا وجود رجل اقتصاد عبقرى ، وخبير فى البورصة ، ومحظوظ أيضاً ، فكم تبلغ نسبة نجاحه ، فيما يشتريه ويبيعه من أسهم وسندات !؟

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- هناك دومًا تقلبات مفاجئة ، وتغيرات سياسية ، واقتصادية ، و ...

صمت لحظة ، وهو يحسب الأمر فى ذهنه ، قبل أن يضيف :

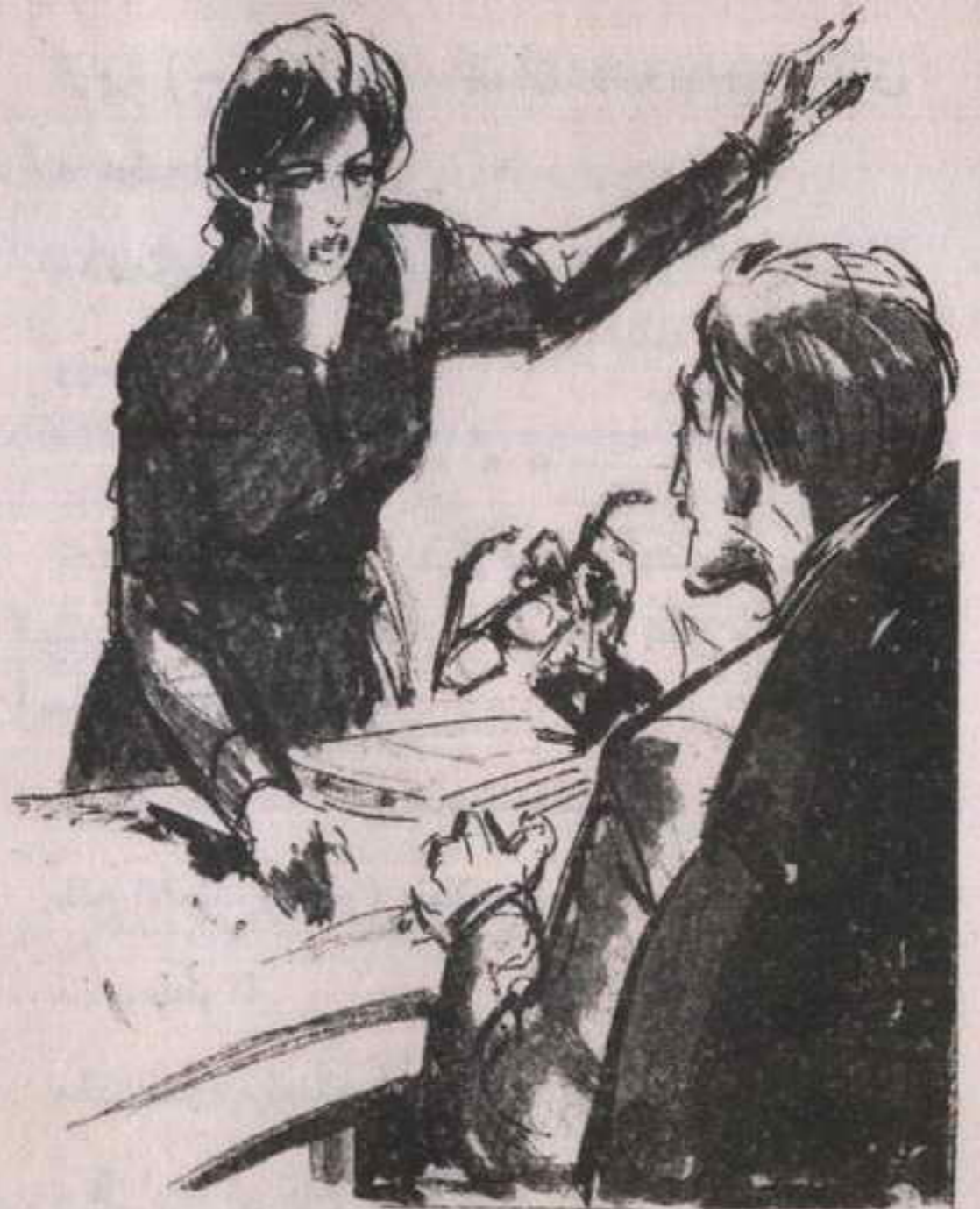
- اعتقد أن أفضل نسبة ممكنة ، هى اثنان وتسعون فى المائة .

سألته ، فى لهجة حملت رنة تحد :

- أهذا أكبر احتمال وارد !؟

قال فى تردد حذر :

- يمكن أن يرتفع إلى خمسة وتسعين فى المائة ، لو أن
الـ ...



خلع الأستاذ (سالم) منظاره الطبي ، وهو يتساءل :

.. أى خطأ !؟

قاطعته فى توتر :

- وماذا عن مائة فى المائة ، ودون خسارة واحدة ،
خلال خمس سنوات !؟

ابتسم ، وهو يتراجع ، قائلاً :

- هذا مستحيل يا آنسة (ياسمين) ، ولم يحدث قط ، فى
أى ...

قاطعته مرة أخرى ، وهى تشير إلى ملفى (توفيق)
و (عادل) ، قائلة :

- بل حدث هنا .

اتسعت عيناه فى دهشة بالغة ، وهو يغمغم :

- مستحيل !

اختطف الملفين فى لهفة ، وهى تقول ، فى شىء من
العصبية :

- (توفيق زاهر) و(عادل عازر) حققا ماتراه مستحيلاً ،
وعلى نحو مدهل ، لست أرى كيف لم يجنب انتباهكم أبداً ..

لقد ربحت كل عملية شراء أو بيع قاما بها ، للأسهم
والسندات ، فى بورصتنا المصرية .. ليس هذا فحسب ،
وإنما كان كل منهما يشتري ويبيع فى اللحظة المناسبة
تماماً ، وكأنهما يقرآن الغيب .

راجع الملفين فى سرعة ، وهو يسألها :

- أنت واثقة !؟

أجابته فى حزم :

- تمام الثقة .

اتسعت عيناه مرة أخرى ، وهو يراجع بيانات الملفين ،
قبل أن يقول فى هلع :

- يا إلهى ! هذا مستحيل !

سألته فى لهفة :

- أيا صلح هذا كدافع للقتل !؟

هتف مبهوراً :

- القتل !؟ ولماذا !؟

لوحّت بيدها ، قائلة :

- ربما كان لهما جاسوس فى قلب البورصة ، يمدّهما بالمعلومات الدقيقة ، عن أحوال الأسهم والسندات ، مقابل عمولة ما ، ثم امتنعا عن منحه تلك العمولة ، فنارت ثائرتة ، وقتلها بكل غضبه .

مطّ شفتيه ، قائلاً :

- غير منطقى ، فلا أحد يمكنه معرفة أحوال البورصة بهذه الدقة ، حتى من يعملون داخلها ، فالتغيرات التى تحدث فى أقصى العالم ، يمكن أن تؤثر فيها ، خلال ساعة واحدة .

صدمها جوابه ، فاتسعت عيناها لحظة ، قبل أن تلقى جسدها على المقعد المواجه لمكتبه ، وتلتقط شطيرة طازجة من حقيبتها ، لتقضم قطعة منها ، قائلة فى حيرة ، وبصوت أقرب إلى البكاء :

- ما الدافع إذن !؟

أطلق (سالم) ضحكة قصيرة ، فارتبكت ، واحمرّ وجهها خجلاً ، وهى تضحك فى حياء ، قائلة :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٣٩

- الانفعال يحفز شهيتى للطعام .. لم أستطع السيطرة على هذا قط .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- كل منا له أسلوبه ، فى إفراغ انفعاله .

غمغت فى خجل :

- بالتأكيد ..

لم تكذبتم عبارتها ، حتى ارتفع رنين هاتفها المحمول ، فالتقطته بسرعة ، هاتفة :

- أنا (ياسمين) .. من المتحدّث !؟

ارتفع حاجباها عن آخرهما ، حتى كادا يلامسان منابت شعرها ، قبل أن تهبّ من مجلسها ، هاتفة فى انفعال :

- سأذهب على الفور .

تابعها الأستاذ (سالم) ببصره ، وهى تندفع نحو الباب ، قبل أن تتوقّف فجأة ، وتلفتت إليه ، قائلة :

- حتى لانضيع الوقت ، ابدأ فى البحث عن ملف رجل

الأعمال (إبراهيم زغلول) ، وأراهنك أن حجمه لن يزيد على حجم ملفي (زاهر) و (عازر) .

بدا وكأنها ستكتفى بهذا القول ، إلا أنها لم تلبث أن أضافت في حزم :

- واحتياطيًا ، أخرج كل الملفات ، التي لها الحجم نفسه .
قالتها ، واندفعت خارج المكان ..
بأقصى سرعة ..

سرى التوتر في كل نرة من كيان (شريف) ، وهو يحدث في تلك الفجوة الصغيرة ، في جدار حجرة مكتب رجل الأعمال الأعزب (إبراهيم زغلول) ، قبل أن ينقل بصره إلى جثة هذا الأخير ، التي حملت آثار الاحتراق المحدود ، في منطقة الوجه والصدر ، والطبيب الشرعي يقول في توتر :

- إننا أمام حالة مماثلة جديدة .. مكتب مغلق من الداخل .. احتراق محدود ، في منطقة الوجه والصدر ، أدى إلى هبوط مفاجئ حاد ، في الدورة الدموية .. وعينان منتزعتان بقسوة ..
يا إلهي ! ما الذي يحدث هنا ؟!

مطاً (شريف) شفتيه ، مغمغماً :

- هذا ما نحاول معرفته .

ألقى الطبيب الشرعي قفازيه المطاطيين داخل حقيبة أدواته ، وهو يقول في عصبية :

- الأفضل أن تعرفوه بسرعة ، قبل أن تزدحم المشرحة بجثث رجال الأعمال ، الذين فقدوا أعضاءهم .

بدا الغضب على ملامح (شريف) ، ولكنه لم يعلق بحرف واحد ، في حين تنحنح (عمر) ، قائلاً في شيء من الحزم ، هزمه توتره الشديد :

- إننا نبذل قصارى جهدنا .

قال الطبيب الشرعي ، وهو يغادر المكان :

- لو أن هذا قصارى جهدكم ، فابحثوا عن تستعينون به إذن .

عضاً (شريف) شفته السفلى في سخط ، دون أن ينبس ببنت شفة ، حتى غادر الطبيب الشرعي المكان ، فهتف في حدة :

- من يتصور نفسه ؟!

قال (عمر) ، محاولاً تهدئة أعصابه :

- الرجل أشد توترًا منا ؛ لأنه يواجه ما يجهله ، والناس أعداء ما يجهلون في المعتاد .

لوّح (شريف) بذراعه ، هاتفاً :

- وما ذنبنا نحن؟! إننا نواجه قاتلاً متسلسلاً مجهولاً ، وجهه غضبه وجنونه إلى حفنة من رجال الأعمال العزّاب ، دون سبب واضح أو منطقي ، ولا أحد يدري كيف يصل إليهم ، ولا كيف ينفذ جريمته .. لا بصمات ، أو آثار ، أو حتى وسيلته لدخول الحجرات المغلقة من الداخل دوماً ، وكأنما تنشق عنه الأرض ، أو يخرج من الجدران كالغفاريت أو الأشباح .

انعقد حاجبا (عمر) بشدة ، مع العبارة الأخيرة ، وراودته لحظة فكرة أن يكون ذلك القاتل المتسلسل الوحشي شبحاً ، عاد لينتقم من قاتليه ، إلا أنه سرعان ما نبذ الفكرة ، وألقاها خلف ظهره ، و(شريف) يتابع في عصبية :

- كل ما نعرفه هو أنه يستخدم سلاحاً حارقاً ، وأن ظهوره يرتبط بضوء خاطف ، و ...

فجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، سطع في المكان ضوء خاطف قوي ، كضوء مصابيح التصوير الضوئي ، فانطلقت من حلق

(عمر) شهقة محدودة ، في حين وثب (شريف) جانباً ، برد فعل بالغ السرعة ، واستلّ مسدسه من حزامه ، وهو يدور حول نفسه ، مصوباً المسدس إلى مصدر الضوء ، و ... وانطلقت شهقة أخرى مذعورة ...

شهقة حملت صوت (ياسمين) ، وهي تهتف في ارتياح :
- لا .. لا تطلق النار .

حدّق (عمر) فيها بدهشة مستنكرة ، في حين احتقن وجه (شريف) من شدة الغضب ، وهو يصرخ فيها :
- من سمح لك بالدخول إلى هنا!؟



ارتجفت أصابعها ، وهي تخفض آلة التصوير ، التي التقطت بها صورتها منذ لحظة ، وتلتقط هويتها من جيبها ، هاتفة :

- أنا (ياسمين) .. صحفية بقسم الحوادث ، بجريدة الـ

قاطعها (شريف) ، وهو يكرّر بغضب هادر :

- من سمح لك بالدخول ؟!

ازدردت لعابها في صعوبة ، في محاولة للسيطرة على أعصابها ، وبذلت جهداً خرافياً ، لتبدو متماسكة أمامها ، وهي تقول :

- أنا صحفية ، ومن حقى أن ...

صرخ (شريف) يقاطعها ، للمرة الثانية :

- ليست لك أية حقوق هنا .

اتسعت عيناها في ارتياح ، هاتفة :

- ماذا ؟!

اندفع نحوها ، ولوَّح بمسدسه في وجهها ، وهو يصرخ :

- إننا نقوم بعمل شاق ، ونواجه جريمة رهيبية ، ولسنا مستعدين لمجاملة الصحافة ، على حساب عملنا .. هل تفهمين ؟!

اتسعت عيناها أكثر ، وهي تتراجع مذعورة ، قائلة بصوت مرتجف :

- هل .. هل ستطلق النار علىّ ، من أجل هذا ؟!

انتبه فجأة إلى أنه مازال يحمل مسدسه في يده ، فأعاده إلى حزامه بحركة عصبية ، قائلاً في صرامة :

- اخرجى .

اعتذلت في توتر ، وحاولت أن تتماسك مرة أخرى ، قائلة :

- إننى أتابع هذه الجرائم ، من منظور صحفى ، ولقد قمت ببعض التحريات ، و ...

قاطعها في حدة شديدة :

- قلت : اخرجى من هنا .. اتركينا نمارس عملنا .

لم تستطع احتمال فكرة الانصراف ، دون الحصول على أية معلومة جديدة ، فهتفت في حدة :

- ليس هذا من حَقِّك .. إنها ليست منطقتك .. الجريمة حدثت في نطاق عمل المقدم (وجدى) .

انعقد حاجبا (شريف) ، وهو يقول فى عصبية :

- من الواضح أنك تعلمين الكثير .

تتحننت ، محاولة اكتساب المزيد من الثقة ، وهى تقول :

- قلت لك : إننى صحفية بقسم الحوادث ، فى جريدة لـ ...

قاطعها فى تحد عصبى :

- ما لم تعلميه إذن ، يا صحفية الكوارث ، أن الوزارة قد

أسندت لى مهمة متابعة تلك السلسلة الوحشية من الجرائم ، فى أى مكان فى الدولة كلها .

تتحننت مرة أخرى ، قائلة :

- عظيم .. هذا خبر جديد ..

احتقن وجهه ، وهو يصرخ فيها :

- الخبر الآخر هو أننى سألقى بك خارجًا ، لو لم تبادرى

بالخروج من تلقاء نفسك ، خلال دقيقة واحدة من الآن .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٤٧

استعادت كلمات رئيسها الأستاذ (فتحى) ، وهو ينصحها بعدم للتراجع أبدًا ، أمام أى ضابط شرطة غاضب ، وازدرت لعبها مرة أخرى بصعوبة أكبر ، وهى تسأله فى توتر :

- هل عثرتم على أية أدلة هذه المرة!؟

أدهشه عنادها وإصرارها ، فتراجع يحدق فيها ، على نحو جعل حمرة الخجل تتصاعد إلى وجنتيها ، وهى تكرر فى ارتباك :

- هل ...

لم تستطع إكمال سؤالها ، مع النظرة العجيبة التى رمقها بها ، والتى بدت وكأنها تلتهم كيانها كله دفعة واحدة ..

أما هو ، فقد شملته حالة عجيبة ، من الدهشة والحيرة ، وربما الاستنكار المتخاذل أيضًا ..

فما حدث فى تلك اللحظة ، لم يكن يتناسب قط مع وحشية الموقف المحيط به ..

لقد خفق قلبه ..

نعم .. باغته قلبه بخففة مفاجئة بين ضلوعه ، وعقله
يصرخ ، فى كل ذرة من كيانه .. ما أجملها ..

حمرة الخجل ، التى توردت بها وجنتاها ، بدت له ، فى
تلك اللحظة ، كأعظم وأجمل مشهد رآه ، فى حياته كلها ..

ولكنه سرعان ما استنكر ذلك الشعور ، واستنفر كل
قواه ، لطرده من ذهنه وأعماقه ، وهو يقول فى صرامة :

- ماذا تريدون بالضبط !؟

أراد أن تخرج العبارة صارمة للغاية ، إلا أنها جاءت ،
على الرغم منه ، متخاذلة ، على نحو ارتفع معه حاجبا
(عمر) فى دهشة ، فى حين لم تنتبه (ياسمين)
إلى ما أصابه ، وهى تسأله فى سرعة ولهفة ، قبل أن
يتراجع :

- هل عثرتم على أدلة ، أو حتى طرف خيط !؟

صمت بضع لحظات ، قبل أن يسألها ، فى لهجة بدت
هادئة هذه المرة :

- هل تعدين بعدم نشر أى شىء ، إلا بعد الرجوع

إلى ..

ثم استدرك فى سرعة :

- لمصلحة التحقيق بالطبع .

لم تدرك لماذا تصاعدت حمرة الخجل إلى وجنتيها مرة
أخرى ، وهى تقول فى ارتباك :

- نعم .. إذا ما وعدتني بمنحى التفاصيل كاملة ، بعد
القبض على القاتل .

أجابها فى سرعة أدهشت (عمر) نفسه :

- اتفقنا .

ثم أشار بيده لما حوله ، مستطرذا :

- الجريمة تتشابه مع الجريمتين السابقتين اللتين راح ضحيتهما
(زاهر) و (عازر) ، والقاتل لم يترك خلفه أى دليل .. كالمعتاد .

سألته فى لهفة :

- ولا حتى ما يشير إلى الدافع ، وراء كل هذه الجرائم .

هز رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- مطلقاً .

راودته لحظة فكرة إخبارها بأمر بطاقتي الرقم القومى الزائفتين ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع ، وفضل الاحتفاظ بالمعلومة لنفسه ..

هى أيضاً ، كادت تخبره بتشابه الملفين الاقتصاديين لـ (زاهر) و (عازر) ، ولكنها لم تفعل ، أمام نظراته التى ما زالت مركزة على ملامحها الجميلة الهادئة ، التى حاولت تحاشيها ، بالفرار بعينيها إلى سقف الحجرة ، و ...

وفجأة ، لمحت ذلك الشيء ...

دائرة زجاجية صغيرة ، تختفى أعلى تلفاز صغير ، موضوع فى ركن الحجرة البعيد ..

دائرة ، أدركت (ياسمين) ماهيتها على الفور ، وشعرت بارتجافة باردة تسرى فى جسدها ، وهى تمنع شهقة الظفر من الانطلاق من بين شفتيها فى صعوبة ..

ولاحظ هو ما أصابها ..

وكاد يرفع عينيه إلى حيث تنظر ..

ولاحظت هى هذا ، فقالت فى سرعة :

- هل تعتقد أنه ستحدث جرائم قتل أخرى !؟

نجح سؤالها فى تشتيت انتباهه ، وهو يعود ببصره إليها ، قائلاً :

- هذا يتوقف على الدافع ، الذى لم نتوصل إليه بعد .

كان يتوقع منها مزيداً من الأسئلة ، حول الجرائم ودوافعها ، إلا أنه فوجئ بها تقول فى لهفة عجيبة :

- حسناً يا سيادة المقدم .. أشكرك .

قالتها ، واندفعت مغادرة الحجرة ، دون أن تضيف شيئاً ، فارتفع حاجباه فى دهشة ، ونمت فى أعماقه ابتسامة كبيرة ، لم تظهر على شفتيه ، وهو يلتفت إلى (عمر) ، قائلاً :

- يالها من شخصية عجيبة !

أما هى ، فقد غادرت المكان كله ، وقلبها يرقص طرباً ؛

فتلك الدائرة الزجاجية الصغيرة ، كانت تعنى أنها قد عثرت على طرف الخيط ، الذى لم تعثر عليه الشرطة بعد ..

وهذا يعنى أن مستقبلها الصحفى سيقفز ألف خطوة إلى الأمام ..

أو أكثر ..

بكثير .

٤ - الحلقة الرابعة ..

لسبب ما ، لم يستطع (شريف) محو صورة (ياسمين) من ذهنه أبداً ، على الرغم من الجهد الذى يبذله ، فى مراجعة تقارير الطب الشرعى ، ومعمل الأدلة الجنائية ، حول جريمة مقتل (إبراهيم زغلول) ، والتي لم تختلف كثيراً عن تقارير جريمتهى (زاهر) و (عازر) ، إلا فى العضو الذى تم انتزاعه ، فى الجريمة الأخيرة ..

وما زال كل شىء غامضاً ..

دافع القتل ..

هوية القاتل ..

محتوى تلك الفجوة فى الجدار ..

و ...

« بطاقة الرقم القومى مزورة باتقان أيضاً .. » ..

هتف (عمر) بالعجالة ، وهو يندفع داخل المكتب ، ملوحاً ببطاقة (إبراهيم زغلول) ، فاعتدل (شريف) فى مقعده ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- ما الذى يحدث بالضبط !؟

وضع (عمر) البطاقة أمامه ، وهو يقول فى انفعال :

- إننى أميل إلى فكرة العصابة والثأر .

تنهّد (شريف) ، قائلاً :

- ربما ، ولكنها لا تحل لغز ذلك القاتل الشبح ،
الذى يعبر الجدران ؛ ليقتل الضحية ، وينتزع أحشائها
فى وحشية ، دون المرور بالأبواب والنوافذ المغلقة .

حدّق فيه (عمر) لحظة ، قبل أن يلقي جسده على
مقعده ، ويمسح وجهه براحتيه ، قائلاً :

من الواضح أننا أمام أعجب جرائم قتل فى التاريخ .

مطّ (شريف) شفّتيه ، مغمغماً :

- هناك حتماً تفسير ما .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع دقات على باب المكتب ،
فهتف فى شىء من العصبية :

- ادخل .

دلف أحد مساعدى الشرطة إلى المكان ، وأدى التحية
العسكرية ، قبل أن يقول :

- هناك رجل يطلب مقابلتك ، يا سيادة المقدم .

ساله (شريف) فى توتر :

- أى رجل !؟

أجابه مساعد الشرطة فى سرعة :

- يقول إنه رجل أعمال ، لديه شركة للتعامل مع الأوراق
المالية فى البورصة ، و ...

قاطعته (شريف) فى لهفة ، قبل أن يتمّ حديثه :

- دعه يدخل .

اندهش مساعد الشرطة لتلك اللفظة ، إلا أنه أدى التحية
العسكرية مرة أخرى ، قائلاً :

- كما تأمر يا سيادة المقدم .

لم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى هبّ (عمر) من مقعده ، هتافاً :

- هل تعتقد أن ...

قاطعته (شريف) ، بإشارة ، حازمة من يده ، وهو يقول
فى انفعال ، حاول السيطرة عليه :

- دعنا لانستبق الأحداث .

لم تمض دقيقة ، حتى دلف رجل الأعمال إلى الحجره ،
وبدا عصبياً مضطرباً ، وهو يقدم نفسه ، قائلاً :

- (مورييس أسعد) .. رجل أعمال ، وخبير فى بورصة
الأوراق المالية ، و ...

قاطعته (شريف) ، فى شىء من الصرامة :

- وأعزب ، وتقيم وحدك .

كان يتوقع لمحة من الدهشة أو الذعر ، إلا أن الرجل
أوما برأسه ، قائلاً فى استسلام :

- بالضبط .

تبادل (شريف) و (عمر) نظرة صامتة ، قبل أن يسأله
الأول فى تماسك :

- ما الذى نستطيع تقديمه لك يا أستاذ (مورييس) !؟

زاغت عينا الرجل ، على نحو عجيب ، وهو يقول :

- أنا هنا من أجل سلسلة جرائم القتل الأخيرة .

تبادل ضابطا الشرطة نظرة صامتة أخرى ، قبل أن
يتساءل (عمر) فى حذر :

- ماذا عنها !؟

ازدرد الرجل لعابه ، قبل أن يقول فى توتر :

- لن نتوصلوا إلى حلها أبداً .

بدت عليهما دهشة مستتكرة ، قبل أن يميل (شريف)
نحوه ، قائلاً فى شىء من الصرامة :

- وكيف يمكنك الجزم بأمر كهذا !؟ أهى عدم ثقة فى
قدراتنا ، أم أنك قارئ للغيب .

هزّ (مورييس) رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- لا هذا ولا ذاك ، ولكن الأمر يفوق إدراككم بكثير .

مرة ثالثة ، تبادل الرجلان نظرة صامتة حائرة ، ثم
تراجع (شريف) فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

- لم أفهم .

ازدرد (موريس) لعبه بمنتهى الصعوبة والتوتر ، وهو يجيب :

- لن تفهموا أبداً .. القاتل شىء يفوق إدراككم .. بل يفوق إدراك أى بشرى .

انعقد حاجبا (شريف) فى توتر ، فى حين هتف (عمر) فى استنكار :

- أى قول هذا؟! هل أتيت لتسخر منا يا رجل!؟

هزاً (موريس) رأسه ، فى يأس عجيب ، وهو يقول :
- أبداً .

تبادلا نظرة متوترة للغاية ، قبل أن يسأله (عمر) فى حزم حذر :

- هل تعلم لماذا يقتل ضحاياها!؟

أوما برأسه إيجاباً فى مرارة ، فهتف به (شريف) ، فى لهفة لم يحاول حتى أن يخفيها :

- لماذا إذن!؟

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٥٩

انطلقت من بين شفتى (موريس) زفرة ملتبهة كالحمم ، وهو يجيب :

- إنه واجبه .

جاء الجواب مدهشاً ، حتى إن (شريف) تراجع بحركة حادة ، فى حين شهق (عمر) ، هاتفاً فى استنكار :

- واجبه!؟

عاد (موريس) يومئ برأسه إيجاباً ، وحمل صوته كل يأس ومرارة الدنيا ، وهو يقول :

- نعم .. نحن أخطأنا ، وكان عليه أن يؤدى واجبه .

كانت العبارة أكثر غموضاً ، حتى إن (شريف) قال فى حدة غاضبة :

- وهل يحتم واجبه انتزاع أعضائهم بمنتهى القسوة!؟

هزاً رأسه فى مرارة ، قائلاً :

- نعم .. للأسف .

شهق (عمر) مرة أخرى ، فى حين احتقن وجهه (شريف) ، وهو يسأله فى حدة :

- ولماذا يفعل شيئاً وحشياً كهذا!؟

أشار (موريس) بسبأبته ، مجيباً بصوت بانس يانس :

- لأنها ستكشف الحقيقة .

هتف (عمر) :

- أية حقيقة!؟

بدا لحظة ، من ملامح الرجل وانفراجة شفتيه ، أنه سيجيب السؤال ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق الشفتين ، وهز رأسه في قوة ، هاتفاً :

- لا .. لا أريد أن أتورط فيما هو أكثر من هذا .. لا ...

قال (شريف) في صرامة :

- تتورط في ماذا!؟

هباً من مقعده بحركة حادة ، ولوح بذراعيه في قوة ، وكأنه يطرد عدواً خفياً ، وهو يهتف :

- في إفساد كل شيء .. لقد أخطأنا ، وتجاوزنا الحدود ،

وكدنا نفسد كل شيء .. كل شيء ..

وثب (شريف) من خلف مكتبه بحركة مباغنة ، وقبضت أصابعه على معصم (موريس) في قوة ، وهو يصيح به :

- اسمع يا هذا .. إما أن نخبرنا بكل شيء ، وإلا قتلتك أنا ، بوحشية أكثر من وحشية ذلك القاتل المجنون ، الذي تدعى أنه يؤذى واجبه .

لم يبد أدنى خوف ، في ملامح وصوت (موريس) ، وهو يقول :

- إنه لا يدرك أن ما يفعله وحشى .

قال (شريف) في حدة :

- وكيف هذا أيها العبقرى!؟ حتى المعتوه يدرك أن ...

قاطعته (موريس) ، وهو يجذب معصمه من يده في قوة :

- إنه ليس بشرياً .

وكان جواباً عنيفاً مذهلاً ..

وبكل المقاييس ..

كتمت (ياسمين) أنفاسها، وهي تتلفت حولها في حذر، قبل أن تثب متعلقة بحافة سور منزل (إبراهيم زغلول)، ثم تدفع جسدها إلى أعلى، وتقفز إلى الحديقة الخلفية، وتعدو في خفة نحو الباب، الذي وقفت إلى جواره تلهث، من فرط التوتر والانفعال، وكأنما بذلت جهداً خارقاً، وهي تغمغم:

- حمداً لله .. لم يضعوا حراسة إضافية على المنزل .

حاولت أن تدير مقبض الباب، الذي بدا مغلقاً في إحكام، فأسرعت تدور حول المنزل في خفة، حتى بلغت نافذة المطبخ، التي استجابت ضلفتها لها من الخارج، ففتحتها، ووثبت داخل المكان، وسط الظلام الدامس، وعادت تلهث متممة:

- يا إلهي! من يصدق أنني أنتحل الآن شخصية مغامر السينما؟! الأستاذ (فتحي) كان على حق .. الصحافة مهنة المتاعب .

ظلت كامنة في مكانها بعض الوقت، حتى اعتادت عيناها للرؤية، فنهضت متسللة إلى حجرة المكتب، وتأكدت من أن نافذتها مغلقة بإحكام، قبل أن تشعل مصباحاً يدوياً صغيراً، مغممة:

- من حسن الحظ أن آلة التصوير والمراقبة، التي يستخدمها السيد (إبراهيم)، تشبه تلك التي ابتاعها خالي لشركته، في الشهر الماضي .

أسقطت ضوء المصباح اليدوي على تلك الدائرة الزجاجية، متابعة:

- آه .. ها هي ذى عدستها .. لاريب في أن جهاز التسجيل مختم في مكان ما هنا .

راحت تبحث في حماسة عن جهاز التسجيل الصغير، الذي يعمل على تخزين كل ما تلتقطه الكاميرا الدقيقة، على أسطوانة مدمجة عالية الكثافة ..

نفس الجهاز الذي يخفيه خلفها، في ركن خفي من مكتبه .. فمن المؤكد أن ذلك الجهاز قد سجل كل ما حدث، خلال جريمة قتل (إبراهيم زغلول) الغامضة ..

سجل دخول القاتل ..

ووسيلة القتل ..

وحتى انتزاع العينين ..

سرت في جسدها ارتجافة باردة، عندما بلغت هذا الجزء من تفكيرها، فهزت رأسها في قوة، وتمتمت:

- سيكون سبقاً صحفياً مدهشاً .

مع آخر حروف كلماتها، لمحت تلك الحلية المثبتة في الجدار، وتعرفتها على الفور، فاندفعت نحوها، هاتفة:

- ها هوذا .

جذبت الحلية بطريقة خاصة ، كما علمها خالها ، فافتح
باب جهاز التسجيل الدقيق ، وتألفت داخله تلك الأسطوانة



الدمجة عالية الكثافة ، على ضوء مصباحها اليدوي ،
فهتفت دون وعي :

- آه .. كنت على حق .

التقطت الأسطوانة في سرعة ، ولهفة ، و ...

وفجأة ، شعرت بحركة ما خلفها ..

والتفتت في سرعة ..

وسطع في المكان ضوء خاطف ..

ضوء أشبه بمصابيح التصوير الضوئي القوية ..

وانطلقت من حلق (ياسمين) صرخة قوية ..

ثم انتهى كل شيء ..

وعاد الصمت والظلام يطبقان على المكان ..

تماماً ..

« ما الذي يعنيه هذا بالضبط؟! » ..

هتف (شريف) بالسؤال في حدة ، في وجه (موريس)
الذي هز رأسه في قوة ، قائلاً :

- لن يمكنكم إدراك هذا .. لن يمكنكم استيعابه قط .

كاد (شريف) يصرخ في وجهه مرة أخرى ، لولا أن
تدخل (عمر) ، قائلاً :

- مهلاً يا سيادة المقدم .

استدار إليه (شريف) فى حدة ، فتابع فى سرعة :

- الأمر يحتاج إلى بعض التوضيح .

ثم مال ليهمس فى أذنه :

- الرجل إما مجنون أو مذعور ، ولن نحصل على أى شىء منه ، إلا بالهدوء والصبر .

لوح (شريف) بيده ، قائلاً فى حنق :

- إنه لك .

قالها ، وعاد إلى مقعده ، وأشاح بوجهه فى سخط ، فى حين التقط (عمر) نفساً عميقاً ، ثم سأل (مورييس) :

- قل لى ياسيد (مورييس) : هل تعرف ضحايا سلسلة القتل الوحشية هذه !؟

أوماً (مورييس) برأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد .

سأله (عمر) :

- هل تعلم أننا ، عندما فحصنا متعلقاتهم ، فوجئنا بأن ...

قاطعته (مورييس) فى حزم :

- بطاقات الرقم القومى التى يحملونها ، كلها مزورة .

أدار (شريف) وجهه إليه بحركة حادة ، وقال فى غضب :

- كيف عرفت :

- مطاً (مورييس) شفتيه ، والتقط بطاقته من جيبه ، وألقاها إليه ، قائلاً فى توتر :

- لأن بطاقتى لا تختلف عن بطاقتهم .

تراجع (شريف) بمقعده ، وكأنما ستتفجر البطاقة فى وجهه ، فى حين اتسعت عينا (عمر) ، وهو يلتقط البطاقة ، ويفحصها ، قائلاً :

- أهذه أيضاً مزورة !؟

تنهد الرجل ، وأوماً برأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد .

سأله (شريف) في حدة، أنجبتها حيرته:

- وكيف أمكنكم تزوير بطاقات متقنة كهذه!؟

تنهّد مرة أخرى، وهو يشير بيده، قائلاً:

- هذا أمر بسيط بالنسبة لنا.

انعقد حاجبا (شريف) بشدة، وهو يسأله:

- هل لك أن تخبرني، من أنتم بالضبط!؟

تردّد (موريس)، واضطرب، وامتقع وجهه على

نحو عجيب، و...

وفجأة، ارتفع رنين الهاتف..

ومع رنينه، انتفض (موريس) في عنف، ووثب من

مكانه، وهو يطلق شهقة ذعر، أدهشت (شريف)

و(عمر) وتعلقت عيناه بالهاتف في ارتياح، فالتقط

(عمر) سمّاعته، وهو يقول في توتر:

- هل يفزعك رنين الهاتف إلى هذا الحد!؟

لم يكن (عمر) قد وضع السمّاعة بعد على أذنه،

عندما أشار إليه (موريس) في ذعر، هاتفاً:

- (ناجي) .. إنه (ناجي) حتماً.

انعقد حاجبا (شريف) في توتر، في حين قال

(عمر) عبر الهاتف:

- مكتب المباحث .. ماذا لديكم!؟

اتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يحدّق في وجه

(موريس)، هاتفاً:

- كيف .. كيف عرفت!؟

امتقع وجه (موريس) أكثر، وحملت عيناه كل رعب

الدنيا، في حين تساءل (شريف) في توتر:

- أهي جريمة جديدة!؟

أعاد (عمر) سمّاعة الهاتف إلى موضعها، وهو يقول

في ذهول:

- نعم .. رجل الأعمال الأعزب، وخبير بورصة الأوراق

المالية (ناجي يوسف) .. لقد تم قتله في حجرة مكتبه

المغلقة، وانتزع القاتل ..

قاطعته (موريس) ، بكل رعب الدنيا :
- كبده .. انتزع كبده .

وقفز ذهول (عمر) إلى ذروته ..

فما قاله (موريس) كان صحيحًا ..
وبمنتهى الدقة ..

* * *

ضوء خاطف ، سطع في وجه (ياسمين) ، ثم تلاشى
دفعة واحدة ..

وانتفض جسدها في عنف ..

واختل توازنها ، على نحو لم تواجهه من قبل قط ..

فجأة ، لم تعد تدرى أين هي بالضبط ..

بل ولا كيف تقف ..

أو ترقد ..

أو حتى تطير ..

كل شيء من حولها اختلف واختل ..

كل شيء ..

ومن حولها ، أضيئت الدنيا وأظلمت بسرعة رهيبة ،
وإيقاع لاهت مخيف ..

وخفق قلبها ..

خفق بمنتهى القوة ..

ومنتهى الخوف ..

خاصة عندما برزت أمامها تلك العينان المخيفتان ،
وسط الظلام الدامس ..

عينان التمعتا بضوء مبهر ، و ...

وفجأة ، ارتفع رنين الهاتف ..

وهبت من رقابها ..

وفي دهشة ما لها مثيل ، حدقت في جدران وأثاث
حجرة نومها ، قبل أن تغمغم في رعب :

- مستحيل ! مستحيل أن يكون كل هذا مجرد كابوس !
مستحيل !

تواصل رنين الهاتف ، وهي مازالت تحدق في حجرتها ،
قبل أن ينتزعها من ذهولها صوت طرقات أمها على باب
الحجرة ، هاتفة :

- (ياسمين) .. هل ستجيبين الهاتف أم ماذا!؟

انتفضت هاتفه :

- سأجيب يا أمي .

التقطت سماعة الهاتف بحركة سريعة ، واختنق صوتها في حلقها ، وهي تقول :

- من المتحدث!؟

أناها صوت الأستاذ (سالم) ، وهو يقول في ارتباك :

- أنا (سالم) يا آنسة (ياسمين) .. معذرة .. هل

أيقظتك!؟

ألقت نظرة على ساعتها ، التي أشارت عقاربها إلى الحادية عشرة ، قبل منتصف الليل ، وهي تجيب في توتر :

- تقريبًا .

تضاعف ارتبائه ، وقال :

- لم أكن أعلم أنك تنامين مبكرًا هكذا ، ولكنني أردت

أن أخبرك ، أننا وجدنا ، في ملفاتنا الاقتصادية ، خمس حالات متشابهة ، ينطبق عليها الموقف نفسه .. كلها لرجال أعمال عزاب ، يعملون في مجال الأسهم والسندات والبورصة ، وكلهم برزوا منذ خمس سنوات فحسب ، دون تاريخ سابق ، ولم يخسر أيهم صفقة واحدة ، منذ بدأ حياته العملية ، على الرغم من أن أحدهم لم تكن لديه أية خبرات سابقة على الإطلاق .

اعتدلت ، قائلة في اهتمام :

- خمس حالات أخرى!؟

أجابها في سرعة :

- بل خمس حالات في مجملها ، وهذا يتضمن (زاهر) ، و (عازر) ، و (زغلول) ...

هبت جالسة ، على طرف الفراش ، وهي تقول في حماسة :

- هذا يعني أنه مازالت هناك احتمالات لحدوث جريمتي قتل أخريين .



أجابها في حيرة أكثر :

- بالطبع يا آنسة (ياسمين) .. ساعتى ، وساعة الحائط ،
وحتى التوقيت فى هاتفى المحمول ، كلها تشير إلى
التاسعة وست دقائق .

هتفت ، وهى تحدق فى ساعتها مرة أخرى :

- مستحيل !

بلغت حيرته ذروتها ، وهو يتساءل :

- ولماذا مستحيل !

قال فى اهتمام :

- هذا ما قدرته .

سألته :

- ما الاسمان الآخران ؟ وهل هما ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدق فى المنبه المجاور
لفراشها ، فسألها (سالم) فى قلق :

- آنسة (ياسمين) .. أين أنت ؟!

سألته فى حدة ، لم يجد لها ما يبررّها :

- كم الساعة الآن ؟!

أدهشه السؤال ، كما حيره أسلوبها ، ولكنهه

أجاب :

- التاسعة وست دقائق .. لماذا ؟!

ألقت نظرة أخرى على ساعتها ، التى تشير إلى ما بعد

الحادية عشرة بدقيقتين ، قبل أن تسأله فى توتر زائد :

- أنت واثق ؟!

أجابته في حدة :

- معذرة يا أستاذ (سالم) .. سأتصل بك مرة أخرى .

أنهت الاتصال ، وهي تنقل بصرها بين ساعتها والمنبه ،
قبل أن تقول في توتر :

- لم يكن كابوسًا .

كانت تذكر ، وبمنتهى الدقة ، كل خطوة قامت بها

هناك ..

في منزل (إبراهيم) ..

كل شيء ..

وبكل التفاصيل ..

وهذا لا يحدث أبدًا في الأحلام ..

أو حتى في الكوابيس ..

إنها واثقة من أنها كانت هناك ..

لقد تسللت إلى الداخل ..

إلى حجرة المكتب ..

وعثرت على جهاز التسجيل ..

والأسطوانة ..

ثم شعرت بالحركة خلفها ..

وومض الضوء الخاطف ..

وبعدها وجدت نفسها تستيقظ ، على فراشها ، وفي

حجرة نومها ..

وساعتها تسبق كل الساعات بساعتين تقريبًا ..

فما الذي يمكن أن يعنيه هذا !؟

ما الذي يمكن أن يعنيه !؟

وظل السؤال يلتهم عقلها طوال الوقت ..

بلا جواب ..

وبلا رحمة ..

غضب عارم ، ذلك الذي ملأ جسد وعقل (شريف) ،

وهو يقف داخل حجرة مكتب رجل الأعمال الأعزب (ناجي يوسف) ، الذي استلقى جثة هامدة في منتصفها ، مصاباً بحروق محدودة ، في منطقة الوجه والصدر ، وقد انتزع أحدهم كبده ، في قسوة وحشية ..

وهناك ، في ركن الحجرة ، كانت توجد تلك الفجوة الصغيرة ، التي بدت له ، في تلك اللحظة ، وكأنها تخرج له لسانها في تحد ..

وفي عصبية شديدة ، قال الطبيب الشرعي :

- ألا توجد نهاية لهذا؟!!

أدار (شريف) عينيه في حركة حادة ، إلى (موريس) ، الذي يبدو شبه منهار ، وهو يقف تحت حراسة (عمر) ، عند مدخل الحجرة ، وقال في غضب :

- نحن في سبيلنا إلى وضع النهاية .

خلع الطبيب الشرعي قفازيه ، وهو يقول في حنق :

- أتعثم أن تأتي بسرعة ، فلم يعد هناك مكان لمزيد من الجثث في المشرحة .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٧٩

احتقن وجه (شريف) في غضب ، والطبيب الشرعي يغادر المكان ، ولم يكذب يتأكد من انصرافه ، حتى اندفع نحو (موريس) ، قائلاً في حدة :

- كيف عرفت أنه سينتزع كبده؟!!

أجاب (موريس) في مرارة :

- هذا أمر طبيعي .

- اكتفى بهذا الجواب المقتضب ، وخفض عينيه في ألم ، فازداد احتقان وجه (شريف) ، على نحو لم يعهده (عمر) من قبل ، حتى إنه هتف :

- سيادة المقدم ..

قبل حتى أن تكتمل عبارته ، كان (شريف) قد انقضَّ على (موريس) فجأة ، وانتزعه من مكانه ، ليضرب به الحائط ، وهو يصرخ في وجهه ، بكل غضب الدنيا :

- اسمع يا هذا .. لقد سئمت أغازك السخيفة هذه ، ولم أعد أحتمل سماعها .. إما أن تفصح عما لديك ، أو أنسف رأسك برصاصة من مسدسي ، في التو واللحظة .

لم تبت صرخته الخوف في نفس (موريس) ، الذي
تطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً في يأس :

- لن يمكنك أن تفعل بي أكثر مما سيفعله هو بي .

صاح (شريف) :

- من هو؟! من القاتل بالله عليك!؟!

هزّ (موريس) رأسه في قوة ، صائحاً :

- لن تفهم .. لن يمكنك أبداً أن تفهم .

صرخ (شريف) مرة أخرى في غضب ، ثم جذبته في
عنف قاس ، إلى ركن الحجرة ، وأشار إلى تلك الفجوة في
الجدار ، صائحاً :

- ماذا يوجد هنا؟! ما الذي يخفيه كل منكم ، في جدار

حجرة مكتبه!؟!

عاد (موريس) يهزّ رأسه في قوة ، صائحاً :

- الأمر يفوق إدراككم .. لن يمكنكم فهمه أبداً .

انقبضت كل عضلات (شريف) ، وهو يرفعه عن
الأرض بقبضتيه ، صائحاً :

- أخبرنا أولاً ، واترك لنا مهمة الفهم ، وإلا ...

أمسك (عمر) يده ، ليقاطعه قائلاً في توتر :

- كفى يا سيادة المقدم .. كفى .. إنك تتجاوز بهذا كل
الحدود المسموح بها .. الرجل مذعور فحسب ، فهو
معرض للمصير نفسه ، الذي أصاب الآخرين .

صاح (شريف) :

- لا يعني إذا ما كان ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو
يفلت (موريس) ، ويلتفت إلى (عمر) ، هاتفاً :

- يا إلهي ! هذا صحيح .. كيف لم ننتبه إلى هذا!؟!

كيف!؟!

تراجع (عمر) ، متسائلاً في حيرة :

- إلى ماذا!؟!

أمسك كتفيه في قوة ، هاتفاً في انفعال :

- لقد أدركت الآن فقط ، كيف يمكننا حل هذا اللغز !؟

وسرت قشعريرة عنيفة في جسد (عمر) ..

فما نطقه (شريف) كان بالفعل مدهشاً ..

إلى أقصى حد .

٥ - الحلقة الخامسة ..

وثبت (ياسمين) في خفة ، إلى الحديقة الخلفية لمنزل (إبراهيم زغلول) ، وتجاهلت الباب الخلفي تماماً هذه المرة ، وهي تتجه مباشرة إلى نافذة المطبخ ، التي استجابت لها من الخارج ، فقفزت عبرها إلى الداخل ، واستقرت بضع لحظات ، وهي تغمغم :

- لقد كنت هنا من قبل .. من المستحيل أن ينقل

الكابوس كل هذه التفاصيل .

أخرجت من جيبها مصباحاً يدوياً كبيراً ، واهتدت بضوئه ، لبلوغ حجرة المكتب ، وما إن دلفت إليها ، حتى زفرت مكررة :

- لقد كنت هنا من قبل .

أدارت ضوء مصباحها إلى الجدار ، ليسقط مباشرة على تلك الحلية ، فانعقد حاجباها في شدة ، وجلست على أقرب مقعد إليها ، وهي تحدق فيها في صمت ، لما يقرب من دقيقة كاملة ، قبل أن تقول في عصبية :

- إنها لم تكن رؤيا بالتأكيد .. لقد كنت هنا .. كنت هنا حتماً .
أغمضت عينيها ، وراحت تعصر عقلها ، محاولة استعادة
جزء مظلم من ذاكرتها ..

لقد كانت هنا ..

وكان هناك جهاز تسجيل ..

وأسطوانة ..

وذلك الشخص ..

بل ذلك الشيء ..

والوميض الخاطف ..

و ...

وانتفض جسدها في عنف ، وهي تفتح عينيها بحركة
حادة ، وتحديق في الحجرة المظلمة في ارتياح ، وكأنها
تتوقع ظهور ذلك الشيء مرة أخرى ..

ولثوان ، تجمد جسدها كله ، من فرط رعب وهمي ، قبل
أن تغمغم :

- ولكن كيف؟! كيف!؟

راح عقلها يضع تفسيراً عجيباً للموقف كله ، وعيناها
تحديقان في ظلام الحجرة ، وقد شملها شرود عجيب ..

تفسير يتفق مع جرائم القتل ..

وتشابه الحالات ..

وذلك الشيء ..

وساعتين ضاعتا من عمرها ..

وكان التفسير مخيفاً ..

ومدهشاً ..

واتسعت عيناها عن آخرهما في الظلام ، وهي تتمتم :

- يا إلهي ! لو أن هذا التفسير صحيح ..

ونهدت بحركة حادة ، لتجذب تلك الحلية في الجدار ،
مكملة :

- فلن أجد الأسطوانة ، داخل جهاز التسجيل .

انفتح الجهاز في نعومة ، وتطلعت هي إلى موضع
الأسطوانة الفارغ ، وهي تتراجع ، متممة :

- رباه ! هل .. هل ..

ارتطمت قدمها بشيء ما ، قبل أن تتم عبارتها ، فأدارت ضوء مصباحها اليدوي الضخم نحوه ، ثم أطلقت شهقة مكتومة ، وهي تحدق فيه ..

وفي ببطء ، انحنيت تلتقط مصباحها اليدوي الصغير ، الذي أتت به في المرة الأولى ، والذي ارتطمت به قدمها الآن ، وهو ملقى أرضاً ..

وفي لحظة ، استعاد ذهنها صرختها المذعورة ، وسقوط المصباح اليدوي الصغير من بين أصابعها ، قبل أن تفقد وعيها ..

وهنا ، تألقت عيناها ببريق عجيب ، وهي تتمتم في ثقة :

- نعم .. لقد كنت هنا .

وأيقنت من صحة نظريتها ، على الرغم من غرابتها ..

أيقنت تماماً ..

* * *

ارتجف جسد (موريس) ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص

قدميه ، عندما دفعه (شريف) داخل حجرة مكتبه الأنيقة عنوة ، وراح يقاوم في عنف ، صائحاً :

- لا .. من الخطأ أن آتى إلى حجرة مكتبي .. كلهم فعلوا هذا ، فظفر بهم هناك .. أخرجوني من هنا .. أرجوكم .. أخرجوني قبل أن يأتى .

شعر (عمر) بمزيج من التوتر والارتباك ، و(شريف) يمسك (موريس) في قوة ، قائلاً في صرامة حادة :

- بل ستبقى في حجرة مكتبك يا سيد (موريس) ، حتى نخبرنا لماذا يحدث كل هذا ، وما الذى تخفيه هنا .

تصبب عرق غزير على وجه (موريس) ، وهو يقول فى ارتياح :

- إنك لا تفهم .. لقد أتيت إليكم لأبتعد عنه .. تصورت أنه لن يجازف بكشف أمره ، أمام سلطات الأمن هنا .

واتسعت عيناه ، على نحو بدا وكأنه سيصاب معه بالجنون ، من شدة الرعب ، وهو يقول :

- العودة إلى هنا أشبه بالانتحار .. إنها منطقة اتصال قوية ، وسيصلها بسهولة .

صاح به (شريف) :

- من هو ؟! ومن أنتم ؟! ولماذا يحدث كل هذا ؟!

تعلقت عينا (موريس) بجزء من الجدار ، وهو يهتف :

- سأخبرك .. سأخبرك بكل شيء ، ولكن أخرجنى من

هنا أولاً .. أرجوك ..

تتبع (شريف) بصره ، حتى ذلك الجزء من الجدار ، ثم

دفعه جانباً ، وهو يتجه إليه ، قائلاً :

- أهنا يختفى ذلك الشيء الصغير ، الذى ينتزعه القاتل

دوماً .

خيل لـ (عمر) أن الرجل قد أصابه مسٌ من الجنون

بحق ، عندما أطلق صرخة رعب قوية ، واندفع نحو

(شريف) ، صائحاً :

- لا .. لا تخرجه .

استدار إليه (شريف) بحركة حادة ، وبإدره بكلمة مباغثة

قوية ، دفعته مترين إلى الخلف ، ليسقط على ظهره ، وهو

يواصل صراخه :

- اتركه فى مكانه .. الآخرون أخرجوه ، فحدث الاتصال ..

أرجوك .. أرجوك .

ثم انهار بغتة ، وراح يبكى وينتحب فى عنف ، مردداً :

- أرجوك .. أرجوك ..

كان انهياره عجيبيًا ، حتى إن (شريف) توقف فى

مكانه ، وتطلع إليه بدهشة ، قبل أن يتبادل نظرة حائرة مع

(عمر) ، ثم يتجه إلى (موريس) ، ويسأله ، فى لهجة أقل

عصبية :

- ما الذى يحدث بالضبط ؟!

أشار (موريس) بيده ، قائلاً فى انهيار :

- نحن أخطأنا .. تصورنا أنه بإمكاننا الدوران حول القاتون ،

وخداع الجميع ، والمجئء إلى هنا ، لنجعل حياة عائلاتنا أفضل ،

ولكنهم كشفوا أمرنا ، وأرسلوه خلفنا ، لتنفيذ القانون .

انعقد حاجبا (عمر) ، وهو يقول فى استنكار :

- أى قانون هذا ، الذى يبيح قتل المتهم ، والتمثيل

بجنته .

قبل أن تنفرج شفتنا (موريس) بالجواب ، ارتفع صوت
أنثوى ، يجيب في حزم :

- قانون المستقبل .

استدار الثلاثة في آن واحد ، نحو (ياسمين) ، التي
وقفت عند ركن الباب ، في حزم عجيب ، كسا ملامحها
كلها ..

وفي توتر غاضب ، هتف (عمر) :

- ماذا تفعلين هنا؟! ما الذي أتى بك؟!!

أما (شريف) ، فقد فوجئ بقلبه يخفق لمرآها ، على
الرغم من دقة الموقف ، وأدهشه أن حملت شفتاه ابتسامة
ترحاب وود ، فأسرع يندها ، متصنعا الصرامة ، وهو
يقول :

- كيف عرفت أننا هنا؟!!

هزت كتفيها ، قائلة :

- عرفت أمر مقتل (ناجي يوسف) ، وقدم (موريس)

إليكما ، في مكتب المباحث ، فاستنتجت الباقي .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٩١

سألها (عمر) في حدة :

- وكيف علمت أن (موريس) يرتبط بالآخرين؟!!

أجابته في حدة مماثلة :

- إنه رجل أعمال أعزب ، ويعمل في بورصة الأوراق
المالية ، ويقيم وحده .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت في خفوت :

- ثم إن ملفه أحد خمسة ملفات متماثلة ، من الناحية
الاقتصادية .

وأدارت عينيها إلى (موريس) ، مكلمة :

- ملفات لخمسة أشخاص ، برزوا فجأة ، في عالم المال
والأعمال ، دون تاريخ سابق .. هل تعلمون لماذا لم يكن
لأيهم تاريخ سابق؟!!

استقبل (موريس) الرسالة ، التي نقلتها إليه عيناها ،
وخفض عينيها ، مجيبا في مرارة :

- لأنه قبل خمس سنوات ، لم يكن لنا وجود ، في هذا
العالم .

اتسعت عينا (شريف) عن آخرهما ، وهتف (عمر) ،
وهو يتراجع بحركة عجيبة ، لم يكن لها ما يبررها :

— لم يكن لهم وجود في هذا العالم؟! ماذا تعنى
يا رجل!؟

وجَّهت (ياسمين) حديثها إلى (موريس) ، قائلة :

— هل ستخبرهم ، أم أخبرهم أنا!؟

اندفع (شريف) يقول ، في دهشة بالغة :

— هل تعرفين ما الذى يحدث!؟

أما (موريس) ، فقد حدَّقَ فيها بضع لحظات ، فى زعر
مستنكر ، قبل أن يقول فى عصبية :

— لا .. مستحيل أن تدركى ما يحدث ! مستحيل !

قالت فى حزن :

— ربما يبدو الأمر مستحيلاً ، لو تطلَّعت إليه من زاوية
تفتقر إلى الخيال ، ولكن لو تساءلت ، كيف ظهر خمسة
رجال فجأة ، فى عالم المال والأعمال ، ليعملوا جميعهم فى

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٩٣

بورصة الأوراق المالية ، دون أن يخسر أحدهم عملية
واحدة ، منذ خمسة أعوام كاملة ، ثم مزجت هذا بحوادث
قتل عجيبة ، ارتبطت كلها بانتزاع أحد أعضاء الضحية ،
وربطت كل هذا بلمحة من الخيال ، لبدت الحقيقة منطقية
إلى حد كبير .

امتقع وجه (موريس) ، على نحو عجيب ، وانكمش فى
مكانه ، وعيناه تحملان زعراً واضحاً ، جعل (شريف)
يقول فى ذهول :

— هل مسَّت قلب الحقيقة!؟

لم يجب (موريس) سؤاله ، فأجابت هى :

— أعتقد أنه يمتلك دليلاً على هذا أيضاً ، على الأقل داخل
جسده .

ثم تقدَّمت نحو الرجل ، متسائلة فى صرامة :

— أين يكمن ذلك الشيء!؟

حدَّقَ فيها (موريس) بضع لحظات فى زعر وصمت ،
فعدت ساعديها أمام صدرها ، قائلة :

— هل سنضطر لعمل رسم مقطعى لجسدك كله أم ...

قاطعها ، وهو يشير إلى رأسه ، قائلاً بصوت مرتجف :

- هنا .

اتسعت عيون (شريف) و (عمر) معاً ، وهما يتبادلان نظرة ملؤها الدهشة والحيرة ، في حين سألته هي ، في لهفة واهتمام :

- في جمجمتك !؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يجيب في استسلام :

- بل في الفص الأمامي للمخ .

تألقت عيناها بنظرة ظافرة ، جعلت (شريف) يهتف في عصبية :

- هل لنا أن نفهم ما يدور هنا !؟

تطلعت (ياسمين) إلى (موريس) ، قائلة :

- أعتقد أن الوقت قد حان لهذا .

هز رأسه في انهيار ، وهو يقول :

- لن يمكنهم إدراك هذا .. من الخطر أيضًا أن يعرفوا .

صاح (شريف) في حدة :

- ما الذي يحدث هنا !؟

أدارت (ياسمين) عينيها إليه ، قائلة :

- ما يحدث أمر يفوق كل إدراك بشري حالي ، وتصديقه يحتاج إلى عقول متفتحة أكثر من المعتاد .

وصمتت لحظة ، وهي تلتفت مرة أخرى إلى (موريس) ، متابعة :

- أو إلى دليل لا يقبل الشك .

خيل لضابطي المباحث أن عينيها تتبادلان رسالة صامتة مع عيني (موريس) ، الذي تطلع إليها بضع لحظات في ارتياح ، ثم لم يلبث أن خفض عينيها ، ونهض في تناقل ، وكأنما زاد عمره عشر سنوات على الأقل ، واتجه إلى مكتبه ، وجذب جزءًا من قائمه الخشبي ، لينفتح أمامه درج سرى ، التقط منه كتابًا عجيبيًا ، له غلاف يلتمع على نحو مذهش ، وناوله إلى (شريف) ، قبل أن ينهار على مقعده ، ويدفن وجهه بين كفيه ، قائلاً بلهجة أشبه بالبكاء :

- لقد أخطأنا .. لقد أخطأنا .

حدق (شريف) في الكتاب بدهشة بالغة ، وهو يتساءل عن ماهية خامته ، التي بدت ناعمة كالمخمل ، وصلبة كالفلواز في آن واحد ، ثم حاول أن يفتحه في تردد ، فتمت (ياسمين) :

- أعتقد أنه يحتاج إلى كلمة سر .

رفع (شريف) عينيه إليها في دهشة ، في حين هتف (عمر) ، في عصبية مستنكرة :

- الكتاب !؟

قالت في اهتمام :

- أظنه ليس كتابًا بالمعنى المعروف .. أليس كذلك يا (موريس) !؟

أجابها (موريس) ، نون أن يرفع وجهه ، من بين كفيه :

- إنه يحتاج إلى البصمة الجينية لصاحبه .

تضاعفت دهشة (شريف) وعصبيته ، وهو يقول :

- بصمة جينية !؟ أي كتاب هذا بالضبط !؟

رفع (موريس) وجهه من بين كفيه ، قائلاً :

- دليل البورصة ، خلال نصف قرن .



حدق (شريف) في الكتاب بدهشة بالغة ، وهو يتساءل عن ماهية خامته ، التي بدت ناعمة كالمخمل ..

قال (عمر) فى حدة :

- نصف قرن؟! عمر البورصة هنا لا يتجاوز ...

قاطعته (ياسمين) :

- عمرها تجاوز هذا بكثير ، من حيث أتى الرجال الخمسة ..

عاد (موريس) يدفن وجهه بين كفيه ، و (شريف) يسألها ، فى حذر متوتر :

- ومن أين أتوا؟!!

التقطت نفساً عميقاً ، قبل أن تجيب :

- من المستقبل .. مستقبلنا .

ودوت قنبلة فى المكان ..

قنبلة من الدهشة والذهول ..

بلا حدود ..

٦ - الحلقة الأخيرة ..

« هذا هو التفسير الوحيد .. »

نطقت (ياسمين) العبارة فى حزم ، وهى تجلس داخل حجرة مكتب (موريس) ، الذى بدا منهاراً تماماً ، فى نفس الوقت الذى بدا فيه (شريف) و (عمر) مذهولين ، وهى تتابع :

- خمسة رجال ، ظهروا فى حياتنا فجأة ، وعملوا جميعهم فى مجال البورصة ، ثم لم يخسروا عملية واحدة طوال خمس سنوات ، على الرغم من أن كل الإحصائيات تؤكد استحالة حدوث هذا ، حتى لأكثر خبراء البورصة حظاً ، فما الذى يمكن أن نفسر به هذه النقطة بالتحديد .

لم يجد أحد الموجودين جواباً ، فتابعت فى حماسة :

- أنهم يعرفون أسعار الأسهم والسندات ، وتقلبات البورصة مسبقاً .

ثم أشارت بسبابتها ، وهى تنهض مستطردة :

- ولما كانت معرفة هذا بدقة أمراً مستحيلًا ، حتى بالنسبة

لمسنولى البورصة ذاتهم ، فالاحتمال الوحيد ، الذى قد تعجز عقولنا عن استيعابه ، هو أنهم قد أتوا من زمن مستقبلى ، حيث أصبحت كل هذه التغيرات مجرد تاريخ .

قال (عمر) فى حدة :

- يا لها من فكرة خيالية ، تناسب عقل صحفية شابة ،

و ...

« إنها على حق .. »

قاطعته (مورييس) بالعبارة فى مرارة ، جعلتهم يلتفتون إليه جميعاً ، وعينا (عمر) تتسعان عن آخرهما ، فى حين غمغم (شريف) فى ذهول :

- على حق؟! هل تعنى ...

اعتدل الرجل فى مجلسه ، وقال فى شىء من الحزم :

- لقد أتينا بالفعل من المستقبل .

وعلى الرغم من أن هذا يتوافق مع نظريتها ، فقد سرت فى جسد (ياسمين) ارتجافة باردة كالثلج ، عندما أعلن

اعترافه بهذه الصراحة ، وتألقت عيناها فى ظفر ، فى حين شمل الذهول والصمت (شريف) و (عمر) ، و (مورييس) يتابع ، على نحو بدا معه وكأنه قد قرّر مواجهة الأمر ، وطرح كل مخاوفه عن كاهليه :

- بعد نصف قرن من الآن سيصبح السفر عبر الزمن حقيقة واقعة ، ولكن العلماء سيكشفون مخاطره الجسيمة ، وخاصة عند التدخل فى أية أمور يمكن أن تهدد المستقبل كله بالفناء ، لذا فقد تم حظر السفر إلى الماضى ، مع الحكم بإعدام كل من يسعى إلى هذا .

غمغمت (ياسمين) بلهفة :

- ولكنكم الخمسة خالفتم القانون ، وعدتم إلى هنا .

أوما برأسه إيجاباً ، وراحت الدموع تسيل من عينيه ، وهو يقول :

- لم نكن نرغب فى إيذاء أحد .. كل ما أردناه هو أن نصنع ثروة طائلة ، من تعاملنا فى بورصة الأوراق المالية ، مع معرفتنا لكل تطوراتها ، خلال نصف قرن ، حتى تصبح عائلتنا أكثر ثراءً وقوة فى المستقبل .

انتزع (شريف) نفسه من ذهوله ، وهو يقول :
- وبعدها تعودون إلى زمنكم .

هز رأسه نفيًا ، وأجاب في مرارة :

- لا توجد أية وسيلة لعودتنا إلى زمننا .. السفر عبر الزمن يحتاج إلى تكنولوجيا هائلة ، لا يمكن أن تتوافر في هذا الزمن ، بأي حال من الأحوال .

قالت (ياسمين) مبهورة :

- يا إلهي ؟ هل ضحيتم بزمنكم ، من أجل عائلاتكم ؟!
أوما برأسه إيجابًا ، وهو يكرّر :

- لم نرغب في إيذاء أحد .

عجزت ساقا (عمر) عن حمله ، من فرط ذهوله ، فترك جسده يسقط ، على أقرب مقعد إليه ، في حين أشار (شريف) إلى الجدار ، قائلاً في انفعال :

- وما ذلك الشيء ، الذي تخفونه في جدران مكاتبكم ؟!

أجابته في استسلام :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢٠٣

- إنه جهاز إنذار خاص ، يكشف قدوم أي أمني من المستقبل ، بحثًا عنا .

وعادت الدموع تنهمر من عينيه ، وهو يتابع :

- لقد تصورنا أنه سيحمينا ، إذا ما أرسلوا أحد تلك الأشياء ؛ للقضاء علينا ، ولكن من الواضح أنهم قد استخدموا ذبذباتها ، لكشف مواضعنا ، وتنفيذ الحكم فينا .

اتسعت عينا (شريف) ، وذهنه يرسم صورة لأحد الضحايا ، وهو يسرع إلى حجرة مكتبه ، ويغلقها عليه في إحكام ، ثم يسرع بإخراج ذلك الشيء ، المختفي في الجدار ، لمعرفة ما إذا كانوا قد أرسلوا ما يتعقبه ، ولكن الذبذبات تجلب القاتل إليه ، و ...

« ولماذا ينتزع أحشاءهم ؟! »

قاطعته (عمر) ، وهو يلقي السؤال في توتر بالغ ، فهز (موريس) رأسه ، وعاد يدفن وجهه بين كفيه ، مجيبًا في يأس وأسى :

- الحياة في المستقبل تختلف عنها الآن .. التلوّث بلغ حدًا لا يمكنكم تصوّره ، والحرب العالمية الثالثة ، التي بدأتها

الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد سقوط برجها ، أدت إلى انتشار التأثيرات البيولوجية ، والكيمائية ، والنووية ، مما أصاب بعض الأعضاء البشرية بالتلف ، أو بأورام خبيثة ، لا شفاء منها ، فتم ابتكار واختراع أعضاء بشرية بديلة ، لم يعد هناك جسد بشرى يخلو من أحدها على الأقل .

هتف (شريف) :

- أهى الأعضاء التى ينتزعها ذلك القاتل !؟

أوما برأسه إيجابًا ، وقال :

- لو تركها لكشف الطب الشرعى وجودها ، ولأدرك على الفور أنها تكوينات نصف صناعية ، تفوق إمكانيات هذا العصر بكثير ، ومهمة الأمنى ، بعد تنفيذ الحكم فىنا ، هى التخلص من كل ما يمكن أن يشير إلى منشئنا ، حتى لا يؤدى هذا إلى حدوث موجات زمنية عشوائية ، قد تفسد المستقبل كله ، أو على الأقل ، تكشف لكم حقيقة السفر عبر الزمن ، قبل الموعد الطبيعى لكشف قواعده ، وهذا خطر بالغ .

أشار (شريف) بيده إلى الجدار ، قائلاً فى انفعال :

- ألهذا يأخذ جهاز الإنذار أيضًا !؟

أجابه فى يأس :

- لديه حاسة لكشف موضع كل ما ينتمى إلى عصرنا .

أدار (شريف) عينيه إلى الجدار ، مرددًا فى انفعال أكثر :

- إذن فالدليل الرئيسى ، على كل ما تقول ، موجود هنا ..

داخل هذا الجدار .

قالها ، وهو يتجه بالفعل نحو الجدار ، فانتفض (مورييس) ،

صارخًا :

- لا .. لا تلمسه .

ثم وثب نحو (شريف) ، كفهذ جائع ثائر ، وهو يصرخ :

- إنك تعرض حياتى كلها للفناء .

انقض على (شريف) فى عنف شرس ، واستقبله هذا

الأخير فى مهارة تتناسب مع خبرته وطبيعة عمله ، إلا أن

الانقضاضة أسقطتهما معًا أرضًا ، وهما يشتبكان فى حدة ،

فشهقت (ياسمين) فى زعر ، وهى تتراجع هاتفة :

- ماذا تفعلان !؟ يا إلهى ! ماذا تفعلان !؟

أما (عمر) ، فقد اندفع نحوهما ، فى محاولة لفض اشتباكهما ، وهو يصيح :

- كفى .. هذا خطأ ..

صرخ (موريس) ، وهو يقاتل كالمجنون :

- إنها حياتى .. لن أسمح لكم بتحطيمها بهذه البساطة .

كان الرجل يقاتل بقوة وشراسة بلا حدود ، وكأنما فقد عقله وأعصابه من فرط الخوف ، حتى إن (شريف) ، بكل خبرته وقوته ، لم يستطع التصدى له ، فى حين حاول (عمر) أن يسيطر عليه ، صائحاً :

- ماتفعله جريمة يا هذا ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، دار (موريس) حول نفسه بحركة سريعة ، وركله فى معدته ، ثم وثب واقفاً على قدميه ، ولكمه فى أنفه وفكه لكمتين قويتين ، صارخاً :

- إنها حياتى .. حياتى أنا .

نهض (شريف) ، فى محاولة للسيطرة على الموقف ، إلا أن (موريس) اختطف مسدس (عمر) من حزامه ، واستدار إلى (شريف) ، صارخاً :

- لن أسمح لكم بهذا أبداً ..

وأطلقت (ياسمين) صرخة رعب هائلة ، فقد كان من الواضح أن الرجل قد أصيب بجنون حقيقى ، وأنه سيطلق النار بلا تردد ، و ...

وفجأة ، سطع ضوء قوى فى الحجرة كلها ..

ضوء أشبه بوميض مصباح تصوير ضوئى قوى ..

واتسعت عينا (موريس) ، فى رعب هائل ، والتفت (شريف) و (عمر) و (ياسمين) إلى مصدر الوميض .. ووقعت أبصار الجميع عليه ..

شخص معدنى ، يشبه البشر فى تكوينه العام ، وله وجه مخيف ، أشبه بالبيضة ، وجسمه كله أسود اللون ، فيما عدا عينيه الكبيرتين ، اللتين تلتمعان بضوء عجيب ..

ولقد ظهر فى منتصف الحجرة تماماً ، وعلى نحو مباغت ، وكأنما نشأ من العدم ..

وفى الوقت الذى حدق فيه الثلاثة بذهول ، تراجع (موريس) برعب هائل ، وهو يصرخ :

- لا .. لا تفعلها .. لا .. لا ..

ثم ضغط زناد مسدس (عمر) ، وانطلقت الرصاصات
ترتطم بالجسم المعدني ، ثم ترتد عنه في قوة ..

أما المعدني نفسه ، فقد رفع يده نحو (موريس) ،
وصدر منه صوت معدني عجيب ، يقول بلغة عربية ، ذات
لهجة غير مألوفة :

- الخامس والأخير .. إعدام .

ومع آخر حروف كلماته ، صرخ (موريس) :

- لا .. لا !!!!

وانطلقت حزمة من الأشعة الزرقاء ، من قبضة
المعدني ..

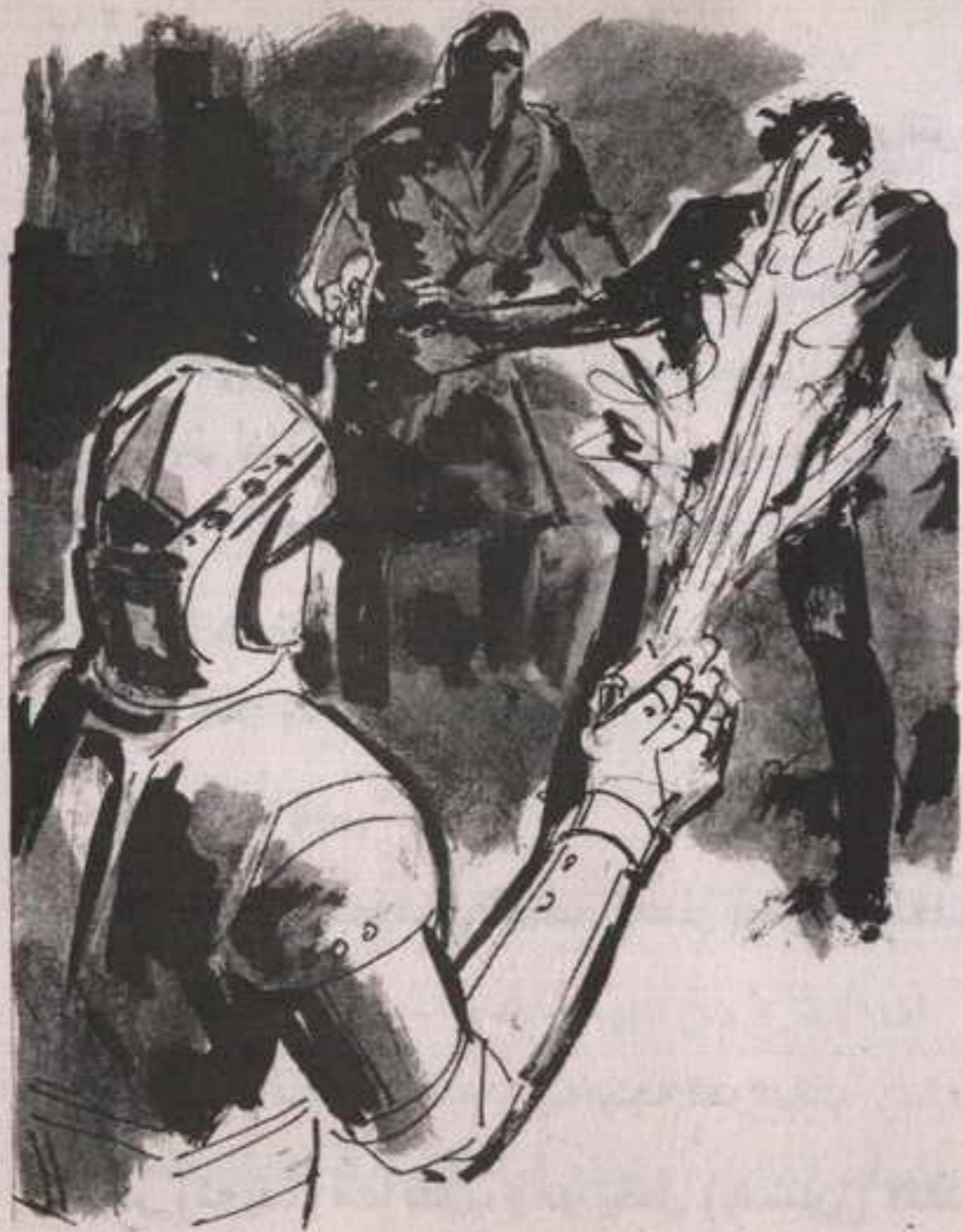
وأصاب (موريس) في وجهه وصدره ..

ودون حرف واحد ، سقط رجل المستقبل كالحجر ..

ولم ينبس أحد الحاضرين بحرف واحد ..

حتى (ياسمين) ، لم تطلق صرخة واحدة ..

أما المعدني ، فقد تجاهل ثلاثهم ، وكأنما لا يعنيه وجودهم ،



وانطلقت حزمة من الأشعة الزرقاء ، من قبضة المعدني .. وأصاب
(موريس) في وجهه وصدره ..

واتجه مباشرة نحو الجدار ، وغاص فيه بأصابعه ، وانتزع منه جهازًا أشبه بمذياع صغير ، تاركًا خلفه فجوة صغيرة ، قبل أن يتجه نحو (موريس) ، ثم يغرس أصابعه في جمجمته على نحو بشع ، أطلقت معه (ياسمين) صرخة قوية ، قبل أن تتراجع يد المعدني ، وهي تحمل الفص الأمامي لمخ (موريس) ، والدم يتقاطر فيه ..

عندئذ ، هوت (ياسمين) فاقدة الوعي ، من هول الموقف ، فقفز (شريف) يلتقطها بين ذراعيه ، هاتفاً :

- يا إلهي ! يا إلهي !

استدار المعدني نحوهما ، فهتف (عمر) ، وهو يتحفز للانقضاض عليه :

- احترس يا سيادة المقدم .. إنه يتجه نحوكما .

لم يدر (شريف) ماذا يفعل ، وهو يحمل (ياسمين) الفاقدة الوعي بين ذراعيه ، والمعدني يتجه نحوهما مباشرة ، و ...

وانقض (عمر) فجأة ..

انقض على المعدني ، صائحاً :

- لا .. لن نظفر بهما .

ودون أن يتوقف لحظة ، طوح المعدني يده ، ليلاطم (عمر) في عنف ، ويلقيه عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار في قوة ، ثم يسقط أرضاً فاقد الوعي ..

وتوترت أعصاب (شريف) أكثر ، وحاول أن يلتقط مسدسه ، وهو يحمل (ياسمين) بين ذراعيه ، وخاصة عندما مدَّ المعدني يده نحوه ..

ولكن المعدني لم يكن ينشده هو ..

لقد انتزع من جيبه ذلك الشيء ، الشبيه بالكتاب ، والذي يلتمع غلافه على نحو عجيب ، ثم تراجع إلى منتصف الحجرة ، وتطلع إليه بعينيه الواسعتين الضخمتين اللامعتين ، و ...

وسطع ذلك الضوء الخاطف مرة أخرى ..

ثم تلاشى دفعة واحدة ..

تلاشى، بعد أن اختفى المعدنى تمامًا، دون أن يترك
خلفه أدنى أثر، وكأنما ذاب فى العدم ..

ذاب إلى الأبد ..

أو إلى المستقبل ..

تنهَّد (شريف) فى توتر، ولوَّح بيده، وهو يقول
لـ (ياسمين) :

- لقد حصلت على أفضل قصة لهذا العام بالتأكيد .

ابتسمت ، قائلة :

- ولكنها ليست قصة حقيقية .

هزَّ كتفيه ، وهو يقول :

- كان من المستحيل أن ننشر القصة الحقيقية .. لن نجد
من يصدقها أبدًا .

وافقته بإيماءة من رأسها ، قائلة :

- ولكننى مررت بتجربة لن أنساها أبدًا .. تجربة خسرت
خلالها ما يقرب من ساعتين من عمرى .

ابتسم ، قائلاً :

- لن يخفض هذا ذرة واحدة من جمالك .

تخضَّب وجهها بحمرة الخجل ، وأشاحت بوجهها ، محاولة
التهرب من نظرات الإعجاب والحب ، التى يرمقها بها ،
وهى تقول فى ارتباك :

- القراء صدقوا القصة التى وضعناها ، والتى اتهمنا
فيها (موريس) بأنه قد ارتكب كل هذه الجرائم ، انتقامًا
من الأربعة الآخرين ، بعد أن تآزروا لإفلاس شركته ،
وتدمير مستقبله ، ثم انتحروا بإطلاق النار على رأسه فى
النهاية .

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- الطبيب الشرعى ساعدنا على هذا ، على الرغم من أنه
لم يقتنع بحرف واحد مما قلناه .

ضحكت ، وهى تقول فى خجل :

- كان من المستحيل أن نخبره بالقصة الحقيقية .

تطلَّع بضع لحظات إلى جمالها الفاتن ، قبل أن يميل نحوها ،
قائلاً :

- ولكنك أخطأت بعدم إبلاغى بأمر آلة المراقبة ، وما سجلته تلك الأسطوانة .. ربما لو فعلت ، لتغيرت الأمور كثيراً .

صمتت لحظة ، ثم قالت فى دلال :

- ربما من الأفضل أنى لم أفعل .

ابتسم ، قائلاً :

- نعم .. ربما من الأفضل هذا .

ثم استدرك فى سرعة وصرامة :

- وربما لا .

التفتت إليه فى دهشة ، فاستعاد ابتسامته ، وهو يقول :

- هذا يحتاج إلى مناقشة طويلة ، ولكن مكتب المباحث لا يناسب هذا ..

غمغت فى حياء :

- ما رأيك فى مكتبى بالجريدة ؟!

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- ما رأيك أنت بمائدة أنيقة ، تطل على النيل ؟!

رقص قلبها بين ضلوعها ، مع تصاعد خمرة الخجل إلى وجنتيها ، وهى تهمس فى سعادة :

- سيكون هذا رائعاً .

هتف بكل سعادة الدنيا :

- حقاً ؟!

كان ذهنه وذهنها يحملان ألف سؤال وسؤال حول ذلك المعدنى ، وهل عاد إلى المستقبل أم لا ، وهل هناك آخرون بينهم .. وهل .. وهل .. وهل ..

ولكنهما طرحا كل هذا عن ذهنيهما وقرراً أن يعيشا لحظة سعادتهما ، بعد أن انتهت الحلقة الأخيرة من السلسلة الوحشية ، واستقرت موجات الزمن ، وصار أمامهما مستقبل واحد ، عليهما الاهتمام به ..

مستقبلهما ..

معا .

تمت بحمد الله

باتة من القصص
والروايات المصرية
تمة في التشويق والإثارة

روايات مصرية الجيد كوكب ٢٠٠٠

٢٠٠٠ / ٢٠٠٠ / ٢٠٠٠

في هذا الكتاب

صفحة

- وكلما شاعت (قصة قصيرة) ٥
مذكرات طبيب في صعيد مصر الجواني :
(الحلقة التاسعة) قصر الدندراوى ١٩

العقرب :

- مهمة رسمية (الحلقة الأخيرة) ٣٥
القرار (قصة قصيرة) ٤١

- حبيبي (دراسة) ٧٥

تصه العدد :

(السلسلة الوحشية)

- عزى القارى (١) ٨٧
عزى القارى (٢) ١١٦
..... ٢٢١

ح

الثمان فى مصر ٢٠٠٠
ومابعاله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

